جامعة العلوم الإسلامية العالمية
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
قسم اللغة العربية

التفكير النحوي عند الشيخ عبدالله فودي (ت١٨٢٩م) من خلال تفسيره "ضياء التأويل في معاني التنـزيل" دراسة وصفية تحليلية

THE GRAMMARAIN THINKING OF SHEIKH ABDULLAH FODI THROUGH HIS TAFSIR "DIYA AT-TAWIL"

إعداد:
موتمباي رجب إهونغومو

بإشراف:
الدكتور محمود مبارك عبيدات

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة دكتوراه فلسفة في الدراسات اللغوية
في جامعة العلوم الإسلامية العالمية/ عمان ٢٠١٧/٨/١٣

التفكير النحوي عند الشيخ عبدالله فودي (ت١٨٢٩م) من خلال تفسيره "ضياء التأويل في معاني التنـزيل" دراسة وصفية تحليلية

THE GRAMMARAIN THINKING OF SHEIKH ABDULLAH FODI THROUGH HIS TAFSIR "DIYA AT-TAWIL"

إعداد:
موتمباي رجب إهونغومو
بإشراف:
الدكتور محمود مبارك عبيدات

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت في

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور محمود مبارك عبيدات	**جامعة العلوم الإسلامية العالمية**	**مشرفًا ورئيسًا**
الأستاذ الدكتور عبد الله نايف العنبر	**الجامعة الأردنية**	**عضوًا خارجيا**
الدكتور حسين مصطفى غوانمة	**جامعة العلوم الإسلامية العالمية**	**عضوًا داخليا**
الدكتور رائد فريد طافش	**جامعة العلوم الإسلامية العالمية**	**عضوًا داخليا**

أنا الموقع أدناه موتمباي رجب إهونغومو ؛ أفوض /جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم بحسب التعليمات النافذة في الجامعة.

الاسم: موتمباي رجب إهونغومو

التوقيع:.....

التاريخ: ٢٠١٧/٨/١٣

الإهداء

إلى أبي وأمي اللذين ربياني صغيرا، وعلماني، واحتضناني.

إلى شيوخي وأساتذتي الذين نهلت من معين علومهم، حتى ارتويت.

إلى إخواني وأخواتي الألى وقفوا بجانبي، وآزروني، وقووا ساعدي.

إلى محبي العربية وعاشقيها.

إلى الشيخ عبد الله فودي وأخيه الشيخ عثمان رحمهما الله

الشكر والتقدير

قال الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " :من لا يشكر الناس لا يشكر الله ".

الحمد الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة، بعد ظروف صعبة مررت بها، فله الحمد أولا وآخرا.

وأهدي خالص شكري إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية التي احتضنتنا، ورعتنا، ووفرت لنا كل سبل العلم، وأخص بالشكر رئيسها وبهجتها الأستاذ الدكتور سلمان فضيل البدور صاحب الأيدي البيضاء.

وإن أنس فلا أنس شكر أستاذي المشرف الدكتور محمود مبارك عبيدات، الذي كان نعم الموجه والمشرف، وصبر علي في هذه الرسالة صبرا يعجز لساني عن شكره، وفيه أقول إنه:

مُبارَكُ الوَجهِ محمودُ الخِصالِ لهُ قلبٌ سليمٌ ومِلْءُ العينِ والبصر

وفي الختام أقدم باقة معطرة إلى الأساتذة المناقشين:

١- الأستاذ الدكتور عبد الله العنبر

٢- الدكتور حسين غوانمة

٣- الدكتور رائد طافش

فهرس الرسالة

الإهداء ..... - ٤ -
الشكر والتقدير ..... - ٥ -
فهرس الرسالة ..... - ٦ -
ملخص الدراسة ..... - ٨ -
Abstract: ..... - ٩ -
المقدمة: ..... - ١٠ -
أما أهداف الدراسة فهي : ..... - ١٢ -
الدراسات السابقة: ..... - ١٤ -
الباب الأول: الشيخ عبد الله فودي، السيرة والسيرورة ..... - ١٥ -
الفصل الأول: ترجمة موجزة للمؤلف. ..... - ١٦ -
النسب والأرومة: ..... - ١٦ -
وفاته: ..... - ٢١ -
شيوخه: ..... - ٢١ -
مؤلفاته: ..... - ٢٣ -
شعره وجهاده: ..... - ٢٧ -
نماذج من شعره: ..... - ٢٩ -
الفصل الثاني: نبذة مختصرة عن الحالة الاجتماعية والعلمية في عصر المؤلف. ..... - ٣٤ -
الفصل الثالث: تفسير "ضياء التأويل في معاني التنزيل" ..... - ٤٢ -
سبب تأليفه وتاريخه وأهميته وأثره تأثره. ..... - ٤٢ -
الباب الثاني: التفكير النحوي للشيخ عبد الله فودي في تفسيره ..... - ٥٤ -
الفصل الأول : التفكير النحوي، تعريفه وحده، وآلياته ..... - ٥٥ -
الفصل الثاني ..... - ٦٩ -
القراءات القرآنية في تفسير ضياء التأويل ..... - ٦٩ -
منهج الشيخ في الاستشهاد بأشعار العرب ..... - ٧٨ -
الفصل الثالث ..... - ٨٣ -
منهج الشيخ عبد الله فودي في بعض قضايا التصريف ..... - ٨٣ -
الفصل الرابع ..... - ٩٤ -
النحو وعلم الكلام في تفسير ضياء التأويل ..... - ٩٤ -

الفصل الخامس ..... - ١٠١ -
اختيارات الشيخ عبد الله فودي النحوية ..... - ١٠١ -
النحو والمعنى لدى الشيخ عبد الله فودي ..... - ١٠١ -
الفصل السادس ..... - ١١٧ -
الحذف والتقدير في تفسير ضياء التأويل ..... - ١١٧ -
الخاتمة: ..... - ١٢٢ -
قائمة المصادر والمراجع ..... - ١٢٤ -

ملخص الدراسة

عاش الشيخ عبد الله في وسط جو وبيئة يكتنفها أهل العلم والفضل والتقوى، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في حياته، وقد أسهم الشيخ بسهم وافر في المكتبة الإسلامية والعربية من خلال مؤلفاته المتنوعة، وهو شاعر وشعره مما يقال فيه إنه شعر الفقهاء، كما أنه كان فارسا مغوارا ومقاتلا شجاعا في صفوف جيش أخيه عثمان.

ألف الشيخ بعد أن اكتمل في العلم واكتهل تفسير ضياء التأويل ليفيد إخوانه الذين كانوا يحتاجون تفسيرا يوضح لهم كتاب ربهم، تنوعت موارد الشيخ ومصادره في ضياء التأويل، فجمع كتبا شتى من فنون شتى ، زاوج بينها مزاوجة الخبير الماهر، مستفيدا من دررها ولآليها، ولم يك ناقلا مقلدا فحسب ، بل كان يُعمل آلته النقدية فيما يحتاج إلى نقد.

علم أصول النحو ما هو عندي إلا تطبيق لقواعد علم أصول الفقه على نصوص لغوية ونحوية، ففي أصول الفقه مندوحة عن أصول النحو.

كان الشيخ يهتم بالقراءات وخاصة قراءة الإمام نافع، وهي قراءة أهل بلده، فكان يشير إلى توجيه ما انفردت بها تلك القراءة من حيث النحو واللغة، وكان للشعر وشواهده حضور في تفسير ضياء التأويل، وقد جاءت هذه الشواهد في تفسير ضياء التأويل إما لبيان لفظ غريب، أو تمييز بين معنى ومعنى آخر، وإما لتوضيح أسلوب من أساليب العربية .أضف إلى ذلك أن الشيخ صرفي بارع، وإتقانه للصرف لا يقل عن إتقانه للنحو وسائر العلوم العربية، وقد كثر تطبيق القواعد الصرفية في تفسيره.

وقد وظف الشيخ معارفه النحوية واللغوية لنصرة مذهب أهل السنة في مقابل مذاهب أخرى غير صحيحة.

إن الشيخ عبد الله فودي قد وضع قاعدة – وإن لم يصرح بها - سار عليها في تفسيره فلم يبتعد عنها ألا وهي :الموازنة بين الصناعة النحوية و المعنى، بمعنى أنه كان يحرص كل الحرص على أن يؤكد أن الإعراب مرتبط بصحة المعنى أو فساده

Abstract:

Printed material on the Islamic scholarship of Africa is difficult to find. The case is similar in universities, where papers and dissertations researching this subject area are few and far between.

This dissertation attempts to contribute to this area by shedding light on the grammatical insight of Shaykh Abdullah Fodio, the great sage of Nigeria and Africa who died in the year 1829. It seeks to understand the essence of his linguistic thought as contained in his exegetical work (tafsīr) titled, "The Light of Interpretation of the Meanings of Revelation." His tafsīr is part of the larger corpus of the school of tafsīr by opinion (tafsīr bi al-ra'y), whose methodology the Shaykh follows, and in particular, Imam Al-Baydawi's method in his famous tafsir titled, "The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation."

This paper is both descriptive and analytical in its presentation of the Shaykh's opinions in grammar. The various grammatical sources scattered throughout his voluminous tafsīr have been gathered and analysed. The analysis contains the identification of links between similar concepts, qualifying unqualified concepts, elaborating concise sections, clarifying ambiguous statements, justifying rulings and extracting principles underlying the issues.

The focus of this work, along with what has been mentioned, has been to clarify where the Shaykh has agreed with the majority, and where he has disagreed.

المقدمة:

ما زالت شَكاةُ [١] البَحَثةِ[٢] أن الدراسات لتراث أفريقية الإسلامي تطبع بميسم القلة، بله الندرة في الجامعات العربية مستمرة، فكانت هذه الأطروحة محاولة لاستجلاء التبصر النحوي لدى الشيخ عبد الله فودي علامة نيجيريا وأفريقيا (ت١٨٢٩م)، واستكناه أنظاره اللغوية المكنونة في أثناء تفسيره الموسوم بـ"ضياء التأويل في معاني التنـزيل" الذي هو امتداد لمدرسة التفسير بالرأي، فقد اقتفى الشيخ خطا الإمام البيضاوي في تفسيره "أنوار التنـزيل وأسرار التأويل" - ولا تخطئ العين الشبه بين التفسيرين في العنوان- وغيره من أئمة التفسير السابقين له.

وقد نحوت منحًى وصفيا تحليليا في عرض الدرس النحوي للشيخ، فكان أن جمعت المادة النحوية التي بثها الشيخ في تضاعيف تفسيره، ثم حللت ما تجمع لدي، فربطت النظير بالنظير، وقيدت مطلقه، وفصلت مجمله، ووضحت مبهمه، وعللت أحكامه، وقعدت مسائله.

وكان وُكْدي[٣] – مع ما سبق- أن أبين المتفق والمفترق لدى الشيخ، المتفق الذي وافق فيه غيره، والمفترق الذي خالف فيه غيره.

---

(١) شكاة من مصادر للفعل شكا، يقال: شكا يشكو شكوى وشكاة وشكاوة وشكاية وشكية.

(٢) جمع كثرة لباحث، على وزن فَعَلة، وهذا الوزن شائع في كل وصف لمذكر عاقل على وزن فاعل صحيح اللام، ككاتب وكتبة، وكامل وكملة.

قال ابن مالك في الألفية:

في نَحْوِ رَامٍ ذُو اطِّرادٍ فُعَلَة وشَاعَ نحوُ كامِلٍ وكَمَلَة

(٣) الوكد: الجهد والسعي.

وتبرز أهمية الرسالة في عدة أمور منها:

١-كونها كاشفة عن وجه من وجوه الحضارة الإسلامية في السودان الغربي التي غابت أو غيبت في الأوساط العلمية العربية، فإذا نظرنا إلى علامة السودان، أوعربي السودان، أو نادرة السودان (كما لقبه مترجموه) الشيخ عبد الله بن فودي نجد عنده مؤلفات عدة في المجال الشرعي والأدبي ومنها: "ضياء التأويل في معاني التنزيل"، وهو كتاب في تفسير القرآن الكريم مطبوع في أربعة مجلدات ضخام، وله أيضاً: "مفتاح التفسير"، وهي منظومة تزيد على سبعمائة بيت، نظم فيها علوم القرآن من كتابي الإتقان في علوم القرآن والنقاية للسيوطي، وله في مجال النحو: "البحر المحيط" وهو منظومة في أربعة آلاف وأربعمائة بيت، نظم فيها جمع الجوامع وشرحه همع الهوامع للسيوطي، وفي الصرف له: "الحصن الرصين" وهو منظومة في ألف بيت، وله ديوان شعري مشهور وهو"تزيين الورقات لما لي من الأبيات".

٢- التطلع إلى إضاءة هذا الجانب العلمي عند الشيخ، ورصد تفكيره النحوي، وهذا ما سيتجلى في الباب الثاني من هذه الدراسة. فلم يكن -رحمه الله تعالى- فقيها فحسب، وإنما كان نحويا من طراز عال خدم العربية بمؤلفات عدة، وقد رزقت مؤلفاته القبول، وانتفع بها خلق كثير من أبناء جنسه.

٣- أن موضوع هذه الدراسة مرتبط بالجانب التطبيقي؛ فإن الشيخ عبد الله فودي عرض كثيرا من المسائل النحوية في أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، واختار ما يراه راجحا وفقا لما تتقبله الصناعة وأساليب العربية وضوابطها، ولا شك أن الدراسة التطبيقية النحوية على النصوص أفضل وأجدى بعامة، فكيف إذا كانت مع النص القرآني، وقد نأيت عن المباحث التفسيرية المحضة، فلم أتناول من التفسير إلا ما كان بينه وبين النحو وشيجة.

أما أهداف الدراسة فهي :

أولا: ترجمة الشيخ عبد الله فودي ترجمة تبين منزلته في العلم.

ثانيا: الكشف عن أثر علمي من آثار حضارتنا العربية الإسلامية، وقيمة هذا الأثر.

ثالثا: بيان الفكر النحوي الشيخ في تفسيره.

رابعا: إفراد بعض القضايا اللغوية التي وردت في تفسيره بدراسة مستقلة.

و أنشئت هذه الدراسة لتجيب عن عدد من التساؤلات نجمت عن اطلاع وبحث في تفسير "ضياء التأويل"، ومن تلك الأسئلة:

١-ما مظاهر شخصية الشيخ عبد الله فودي العلمية في هذا التفسير؟

٢-هل كان متبعا في آرائه النحوية، أم كانت له نظرات وانفرادات؟

٣-كيف يظهر تأثير التفاسير السابقة في تفسير "ضياء التأويل"؟

٤-كيف تجلت المدارس النحوية في تفسير الشيخ؟ وما مرجحات اختياراه للآراء النحوية المختلفة؟

٥- كيف وافق الشيخ بين الإعراب والمعنى؟

و قد سرت هذه الأطروحة على المنهج الوصفي التحليلي، فقمت بجمع المادة العلمية، وتوزيعها على مستويات مختلفة، ثم حللتها وفق آليات المنهج التحليلي.

و قد جاء البحث في بابين، وعدة فصول:

الباب الأول: الشيخ عبد الله فودي، السيرة والسيرورة، ويتكون من:

الفصل الأول: ترجمة موجزة للمؤلف.

الفصل الثاني: نبذة مختصرة عن الحالة العلمية والاجتماعية في عصر المؤلف.

الفصل الثالث: أهمية كتاب "ضياء التأويل"، وتأثر مؤلفه بمن سبقه.

الباب الثاني: التفكير النحوي للشيخ عبد الله فودي في تفسيره، وفي هذا الفصل تحدثت عن:

أ_ التفكير النحوي، تعريفه وحده، وآلياته، وفيصل التفرقة بين مصطلحات ثلاثة: النحو والتفكير النحوي وأصول النحو. وفيه أجبت عن إشكال أحد العلماء القدماء فيه أنه: هل ثمة علم اسمه أصول النحو؟

١_ تجليات الفكر النحوي في كتاب "ضياء التأويل"، وفيه تطرقت إلى:

٢- شواهد "ضياء التأويل" من أشعار العرب.

٣- موقف الشيخ من المذاهب النحوية، والعلماء السابقين له من خلال تفسيره.

٤- اختيارات الشيخ عبد الله فودي النحوية، وعلاقة النحو بالمعنى لديه.

٥ - الخاتمة

٦ - المصادر والمراجع

٧ - ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

الدراسات السابقة:

لا أعلم دراسة خاصة بالجانب النحوي لتفسير الشيخ عبد الله فودي، ولكنني وقفت على دراسات في جوانب أخرى عن الشيخ، منها:

١- مفتاح التفسير للشيخ عبد الله بن فودي - دراسة و تحقيق و شرح -

للباحث: السر الطاهر محمد الماحي، إشراف أحمد خالد بابكر، ر سالة دكتوراه، السودان- ١٩٩٩.

٢- عبدالله بن فودي و جهوده في التفسير و علوم القرآن.

للباحث: محمد نور الدين موسى، إشراف أحمد محمد الوراق، رسالة دكتوراه، السودان - أم درمان ٢٠٠٢.

٣- كتاب صدر في ٢٠٠٩م بعنوان: (البلاغة القرآنية لدى عبد الله بن فودى)

لصاحبه عبد الباقي شعيب أغاكا، أستاذ البلاغة والأدب الإسلامي، بقسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي

٤- البحر المحيط للشيخ عبد الله ابن فودى دراسة وتقويم – تحت سلسلة النحو العربي فى افريقيا – نيجيريا أنموذجاً – ووفق على نشره فى مجلة جامعة كردفان ٢٠١٠ م.

الشيخ عبد الله بن محمد فودي وآثاره الفكرية، الدكتور محمد بن علي السكاكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم.

الباب الأول: الشيخ عبد الله فودي، السيرة والسيرورة

الفصل الأول: ترجمة موجزة للمؤلف.

النسب والأرومة:

عمود نسب الشيخ هو: أبو محمد عبد الله بن محمد الملقب بفودي بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد الملقب غُورْطُ بن جُبِّ بن محمد سَنبو[١] بن أيوب بن ماسِران بن بوب بابَ بن موسى جَكُلُّ" [٢].

وجده موسى جكل هو الذى قاد هجرة قبيلة "توردب" الفلانية من فوتا طور[٣] إلى هوسا في منتصف القرن الخامس عشر الميلادى واستوطن في برنن كن.

وهو من قبيلة الفُلان وأصلهم يرجع إلى بلدة فوتَ تُوْرَ الواقعة غرب بلاد نيجريا، وهي أصل الفلانيين، اختلف في أصلهم الأول فقيل: من نصارى الروم، وصلهم الفتح الإسلامي إبان انتشار الإسلام في أفريقيا، فآمن ملكهم وتزوج ابنته عقبة بن نافع الصحابي المجاهد - رضي الله عنه - أمير العرب فولدت قبيلة فُلَّان المشهورة.

وجد قبيلة المؤلف روم بن عيص الذي يرجع نسبه – كما يزعم - إلى نبي الله اسماعيل بن ابراهيم خليل الله – عليه السلام.

---

(١) هكذا كتب الشيخ أبو بكر غومي في أثناء ترجمة الشيخ في المصدر السابق، والموجود في كتاب إيداع النسوخ ص٦٩ بخط الشيخ هو: ثَنْبُ.

(٢) انظر نسب الشيخ في كتابه إيداع النسوخ فيمن أخذت عنه من الشيوخ، تحقيق أحمد محمد البدوي، جامعة قاريونس ، ليبيا ، ط ٢، ١٩٩١، ص ٦٩. وقد ساق أبو بكر محمود غومي في تقدمته لتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل نسب الشيخ ٢/١.

(٣) فوت طور (وتكتب هكذا فوتا تورو أيضا) هي بلد قبائل الفُلّانيين الأصلية، وهي في جمهورية السنغال الآن.

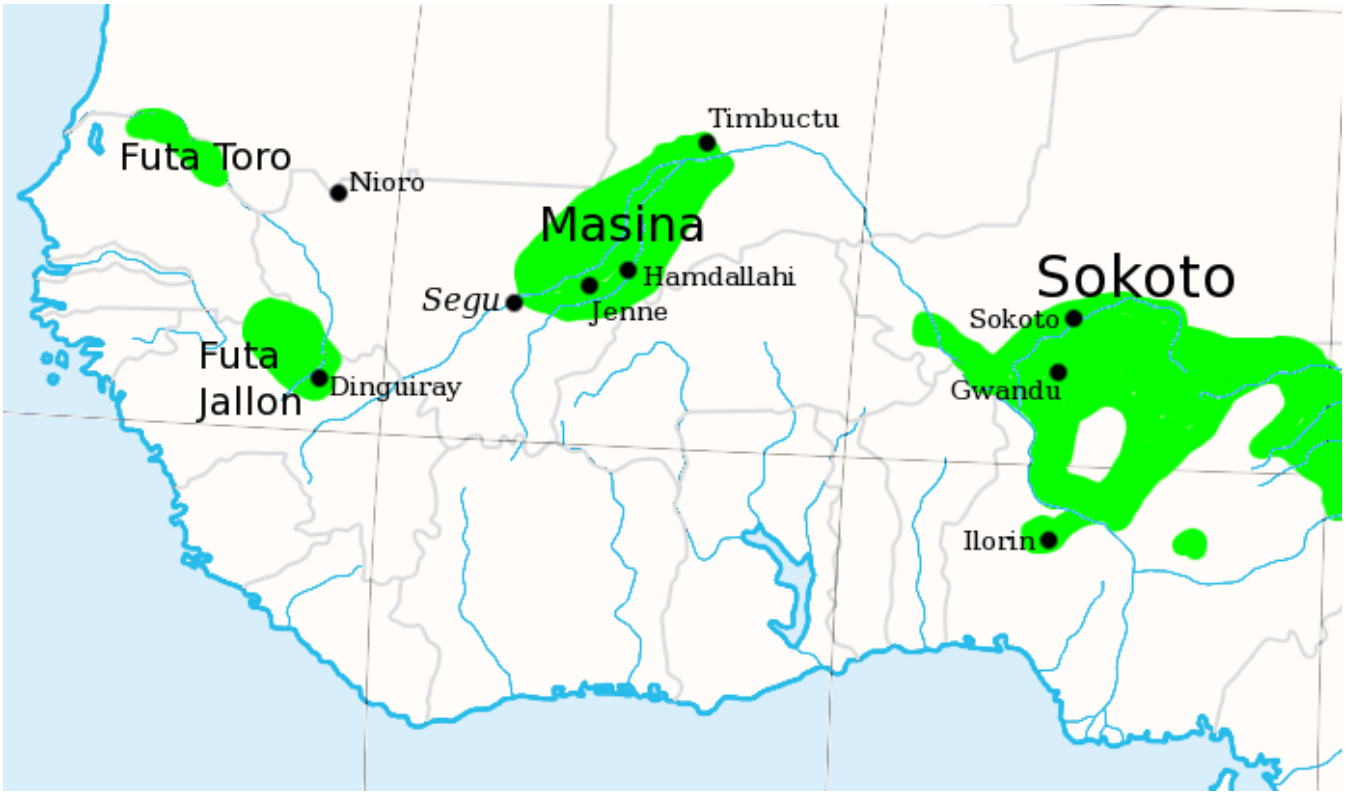

خريطـــــــة (١) موقـــــــع مدينـــــــة فـــــــوت تـــــــورو فـــــــي جمهوريـــــــة الســـــــنغال

صباه ونشأته:

ولد الشيخ عبد الله فودي عام ١١٨٠ هجرية = ١٧٦٥ ميلادية ، في منطقة صكتو الحالية في الجزء الغربي من شمال جمهورية نيجيريا المتاخم لجمهورية النيجر ، في قرية صغيرة قابعة في وسط بعيد عن العمران، نشأ فيها بين أفراد أسرته وعشيرته من الفلانيين الذين يساكنون الطوارق والهوسا ويتبعون لدولة من دول الهوسا عرفت يومئذ بدولة " قوبير" .

نشأ وترعرع عبد الله بن فودي في بيت علم وصلاح، مِمّا هيأ له ظروف النهل والتضلع في العلم، حيث كان أبوه عالما، وأخوه عثمان كذلك، زد إلى ذلك رغبته الكبيرة في الاستفادة العلمية، بفضل النشأة الصالحة التي نشأها ودرج عليها، والتربية الاسلامية الصحيحة التي ألفتها نفسه وامتزجت بها روحه، فصارت جزءا لا يتجزأ من حياته المليئة بالهدى والصلاح منذ الصغر، فتطلعت تفسه للعلم والثقافة، ثم أنتجت فكرا وجهادا، كانا مصدر إشعاع فكري للمسلمين في عصره، وقدوة حسنة يقتدي بها للدفاع عن الاسلام والمسلمين، وتطبيق مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، و أحكامه بصدق وإخلاص في حياته وبعد وفاته.

وعلى الرغم من مشاق التلقي العلمي في حلقات تلك الدروس العلمية المنتظمة، وما يكابد طلب العلم من الصعوبة، وما يواجهه من عقبات في ذلك الوقت، تتمثل في الكتاب المقرر للدراسة، والأسلوب الذي يدرس به هذا الكتاب أو ذاك، فلم تكن هناك كتب مبسطة لتعليم اللغة ، وطريقة التدريس كانت عبارة عن تلقين الألفاظ ومعانيها باللغة المحلية وترديدها وحفظها بهذه الطريقة، فلا يجد الطالب فرقا بين ألفاظ المقامات وغيرها، فكلها ألفاظ غريبة لابد من حفظها وحفظ معانيها [١]. على الرغم من كل ذلك، فان ابن فودي قد قطع هذا الطريق الصعب بتفوق ونجاح، حتى شهد له أشياخه بهذا.

---

(١) غلادنت شيخو أحمد سعيد حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٨٢م، توزيع المكتبة الإفريقية ص ٨٧.

ومن ثم فقد ظل ينهل العلم والمعرفة منذ نعومة أظفاره وأول حياته، وهو لا يزال طفلا، فبدأ بالقرآن الكريم، فقرأ على والده محمد فودي، وتعلم المبادئ الدينية كما يتعلمها الأطفال في الكتاب، ثم بدأ يقرأ على شقيقه عثمان بن محمد فودي، بعد أن تعلم قراءة القرآن، وهو إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة[١]، فدرس عليه عددا من الكتب في مختلف العلوم والمعارف، بالإضافة إلى مؤلفات الشيخ عثمان نفسه، التي تعد أساسا متينا في علوم القرآن والحديث والفقه والنحو والصرف، ووجد بها ثقافة تجعله من العلماء في تلك الفترة.

ولكن الشيخ عبد الله بن فودي لم يكتف بهذه الثقافة، فقد أخذ بعد ذلك يتنقل من عالم الى آخر حسب التقاليد المتبعة في تلك الآونة، فإذا سمع بعالم متخصص في الفقه مثلا، ذهب إليه وسمع منه وقرأ عليه تخصصه. وهو في ذات الوقت يعمل مع أخيه عثمان على إحياء السنة وإخماد البدعة ومحاربة أهل الفكر والضلال، وقد رافقه في جميع رحلاته الجهادية الى ولايات الهوسا من غوبر وزمفرة قبل إعلان الجهاد ، واعظا مرشدا أهل الإسلام إلى الطريق السليم والمنهج الصحيح، ومبشرا وداعيا أهل الكفر والضلال إلى الدين الصحيح والسعادة الأبدية، بالدخول إلى الدين الإسلامي، دين الفلاح والصلاح.

فكان عبد الله ساعده الأيمن، وأقرب الناس اليه، كاتم سره، ومنفذ أمره طيلة حياته. وصفه ابن أخيه محمد بللو في كتابه " إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" : "بأنه هو وزير الشيخ عثمان الأكبر، وركنه الأبهر، وشقيقه الأكبر" [٢]، إلى أن ضاق بهم أعداء العدل والإسلام، أعداء الحرية والسلام ذرعاً، فاضطروهم وأتباعهم إلى الهجرة من بلادهم ومسقط رؤوسهم. ثم اضطروهم مرة أخرى للدفاع عن أنفسهم ودينهم الذي حوربوا واضطهدوا من أجله، فسلحوا أنفسهم بسلاح آلة الحرب - السلاح التقليدي- بعد سلاح الإيمان بالعقيدة، والمبدأ الذي نشأوا وتربوا عليه.

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٤.

(٢) فودي، عبد الله بن محمد ، ضياء التأويل في معاني التنزيل ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط١ ، ١٩٦١، ٤/١ .

وفي سنة ١٨٠٤م، وعندما بدأ الجهاد ضد الهوسا، أصبح الشيخ عبد الله واحداً من أهم المستشارين، والقادة العسكريين الذين لا يقطع رأي دونهم، ولا يفصل في أمر عند غيابهم.

يقول الأستاذ أبو بكر محمود في هذا الصدد: "لقد كان قطب رحى جهاد الشيخ عثمان، وقائد الجيوش، وشيخ المدارس، وإمام المساجد، ومدير السياسة ومؤسسها، ومقيم العدل وبانيه" [١]. أخذوا بعد إعلان الجهاد يحصدون دعاة الأوثان والوثنية، ويجتثون رؤوس النفاق وأهل البدع والضلالات، من الحكام المتسلطين المارقين، وغيرهم من الذيول والأذناب الفاسدين، الذين لا يعيشون إلا في مثل هذه الأجواء الموبوءة، وتهاوت أمام ضرباتهم المحكمة الممالك والدويلات الضعيفة الهزيلة، الواحدة بعد الأخرى. وبذلك انتشر في ربوع تلك المنطقة، وبين شعوب تلك الولايات الإسلام والسلام، والعدل والرخاء، والعلم والثقافة.

وفي سنة ١٨١٢م، وبعد ان استكمل الشيخ عثمان فتوحاته فعلياً، قسم الإمبراطورية الإسلامية الفتية، بين ابنه محمد بللو وأخيه عبد الله، فحكم عبد الله نصيبه من قواندا ، وبذلك أصبح الأمير الفلاني الأول لقواندا.

وفي سنة ١٨١٧م، وعندما توفي عثمان بدون أن يعلن عن خليفته، كان عبد الله بعيداً عن العاصمة سكتو، فعاد مسرعاً ليطالب بالزعامة، وبعد أن تم له ذلك، استمر يحكمها حتى سنة ١٨٢٠م. وبعد ذلك ذهب إلى جهة منعزلة ليكرس حياته للعلم، ويتفرغ للدراسة والكتابة، تاركاً الأمور الإدارية وشؤون القيادة لإبنه وابن أخيه، كما فعل الشيخ عثمان وآل بيته وقرابته الأقربين، فاتبع -رحمه الله- طريقة أسلافه من قبله. ترك الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، من أمور الدولة ورسمياتها، إلى التأليف والتدريس والوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) مقدمة تفسير ضياء التأويل، ٥/١ .

وفاته:

كانت وفاته -رحمه الله- "سنة ١٢٤٠هـ الموافق ١٨٢٩م في قواندا" [١]عن عمر يناهز الستين سنة، قضاها في خدمة العلم وأهله، ونصرة الإسلام والمسلمين، والقيام بأمورهم على أحسن ما يكون؛ ناصحاً معيناً، وخادماً أميناً.

شيوخه:

قلما تتوافر الرعاية العلمية للإنسان، وهي وإن توافرت، فغالباً ما تكون على حساب شيء آخر - كضيق في العيش مثلاً -. أما صاحبنا فقد توافرت له هذه الرعاية، على سعة رزق ورغد في العيش، ذلك أنه درس كتاب الله - تعالى - في بداية حياته على من تولى توجيهه وتربيته، ويحرص على مصلحته، حيث إن طبيعة الآباء الكفاح والحرص من أجل أبنائهم ومصالحهم.

وفي سن الثالثة عشرة تركه أبوه لأخيه الشيخ عثمان " يقول هو عن نفسه في كتابه إبداع النسوخ: ومن شيوخي الذين أخذت العلم عنهم أمير المؤمنين شقيقي عثمان بن محمد، وأمنا حواء بنت محمد بن عثمان بن حم بن عال" [٢].

ومن شيوخه: الشيخ جبريل بن عمرو الذي كان شيخاً لأخيه عثمان أيضاً.

ومنهم أيضاً: الشيخ أحمد بن غار، هذا عدا شيوخه الكثيرين كما يقول الأستاذ أبو بكر محمود: " يقول صاحب كتاب إنفاق الميسور: أخذ عن أخيه القطب عثمان، ووازره وكفاه المهمات من أمره، وعن الشيخ جبريل بن عمرو، والشيخ أحمد بن غار، وغيرهم" [٣]من جهابذة العلم والمعرفة الذين تنقل بينهم وأخذ عنهم.

---

(١) المصدر السابق ٣/١ .

(٢) مقدمة ضياء التأويل في معاني التنزيل، ص:٤.

(٣) إيداع النسوخ ص٨٠

ومنهم الشيخ محمد المغوري، يقول عبد الله بن فودي: " إن الشيخ محمد المغوري كان مشهوراً بتعليم المختصر في بلادنا شهرة الشمس، وكل من لم يقرأ المختصر عنه في بلادنا فكأنه لم يقرأ، فمن الطبيعي إذن أن يقصد إليه عبد الله ويقرأ عليه المختصر، الجزء الأول، وكان ذلك سنة ألف ومائتين من الهجرة، ألف وسبعمائة وخمس وثمانين ميلادية "[١].

ومن شيوخه أيضاً: الشيخ محمد سمبو بن عبد الرحمن، تلميذ الشيخ المغوري، الذي قرأ عليه الجزء الثاني من مختصر الخليل، بعد قراءته للجزء الأول على الشيخ المغوري [٢].

ومن شيوخه أيضاً: الشيخ المصطفى بن الحاج عثمان، ذلك أن عبد الله " كان قد قرأ الكوكب الساطع عن الشيخ جبريل، فأخذه مرة ثانية من المصطفى بن الحاج عثمان، وأفاده هذا الشيخ بأشياء لم يفهمها عند الشيخ جبريل.

ويقول الشيخ عبد الله: إنه أخذ العلم عن عدد كثير من الشيوخ - لا يستطيع ان يحصيهم - وكم عالم أو طالب علم أتانا من الشرق فاستفدت منه مالا أحصيه" [٣].

وأخيراً فإن من شيوخ عبد الله بن فودي: خاله وعمه الشيخ محمد بن راج بن مؤدب، الذي كان متخصصاً في تدريس البخاري، كما أن الشيخ جبريل كان مشهوراً بتدريس الكوكب الساطع للسيوطي[٤].

وهكذا يتضح أن كثرة العلماء وتوزع التخصصات العلمية بينهم، جعلت ابن فودي ينتقل من عالم إلى آخر، ومن قرية إلى أخرى طلباً للعم والاستفادة.

---

(١) إيداع النسوخ ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٩٠

(٤) المصدر نفسه ص ٩٥.

مؤلفاته:

لعبد الله بن فودي مؤلفات كثيرة برهنت على غزارة علمه، وعلو مكانته، وطول باعه في ميدان العلم والمعرفة، ولذلك قال الأستاذ أبو بكر محمود: " للشيخ عبد الله كرامات كثيرة، منها غزارة علمه الدالة عليها كثرة مؤلفاته التي لا يقل عددها عن مائة كتاب، مع ما هو فيه من الأشغال الشاقة في وقت الهرج وقلة الراحة" [١]، حيث إنه الرجل الثاني في دولة سكتو الإسلامية. وإليك بعضاً من هذه المؤلفات:

أ- الكتب المطبوعة:

١- ضياء التأويل في معاني التنزيل: وهو كتاب في التفسير يقع في أربعة أجزاء، فرغ من تأليفه سنة ١٢٣١هـ [٢]. وهو موضوع رسالتي سأفرغ له جانبا موسعا للتكلم عنه فيما يلي من مباحث.

---

(١)مقدمة طبع ضياء التأويل في معاني التنزيل١/ ٥ .

(٢) انظر: ضياء التأويل في معاني التنزيل، ٣٢٠/٤

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد فهذا كتاب تعليم الأنام تعظيم
الله لنبينا عليه أفضل الصلاة والسلام
ويشتمل على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة
المقدمة في كون النبي صلى الله عليه وسلم
أول ما خلق الله روى عن جابر بن عبد الله قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول
خلق الله تعالى فقال هو نور نبيك يا جابر
خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل
شيء وحين خلقه أقامه في مقام القرب
اثني عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة
أقسام خلق العرش من قسم والكرسي
من قسم وحملة العرش من قسم وحملة
الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع
في مقام

سورة لورقة 2 للمخطوطة ا لتعليم الأنام لشيخ عبد الله بن فودي منسوخ من أرشيف المركز التدريس الإسلامي الجامعة الشيخ عثمان بن فودي في صكت نيجيرية

٢- كفاية أهل الإيمان في تفسير القرآن: وهو كتابه الثاني في التفسير، " يعتبر تلخيصاً لما جاء في ضياء التأويل، الذي كان حافلاً ببيان القراءات السبع، وبيان أقوال الأئمة الأربعة، وبيان علوم العربية والبلاغة والأصول، وترتيب الغزوات والسرايا وغير ذلك. لخصه مقتصراً على رواية ورش فقط، وعلى مشهور مذهب مالك، والضروري من علوم العربية، وسماه كفاية أهل الإيمان في بيان تفسير القرآن" [١]أكمله في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٣٨هـ، وفرغ من نسخه في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٤٢هـ [٢]. وهو ما يسميه أيضاً: كفاية ضعفاء أهل السودان [٣]، والكتاب مطبوع في جزأين من الحجم المتوسط.

٣- إيداع النسوخ: وهو كتاب يتناول حياة عبد الله بن فودي، حيث يذكر فيه قصة حياته وتعليمه وشيوخه.

٤- تزيين الورقات: يبدو أنه ديوان شعر للشيخ عبد الله بن فودي، حيث ضمَّنه ما قاله من قصائد في مختلف الأغراض والمناسبات.

ب- كتبه في النحو والصرف:

١- البحر المحيط: وهو كتاب نظمه عبد الله بن فودي في النحو وسماه البحر المحيط، عدد أبياته أربعة آلاف و أربعمائة بيت.

٢ - الحصن الرصين: كتاب في الصرف نظم أيضا، عدد أبياته ألف بيت [٤].

وفي التفسير:

١ - الفوائد الجليلة: نظم ما في الشوشاوي من علم التفسير [٥].

٢ - مفتاح التفسير: نظم ما في الإتقان والنقاية من علم التفسير للسيوطي [٦].

---

(١) فودي ، عبد الله بن محمد ، كفاية أهل الإيمان في تفسير القرآن، بيروت، توزيع المكتبة الحديثة. ٣/١ .

(٢)المصدر نفسه، ٢: ٣٢٠.

(٣)انظر: المصدر نفسه، ١: ٣١٩.

(٤)انظر: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص ١٥٢.

(٥) الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة: لحسين بن علي الرجراجي الشوشاوي، وهو كتاب مختصر في الفقه، مشتمل على عشرين باباً.

(٦) النقاية: كتاب مختصر في أربعة عشر علماً.

٣ - سلالة المفتاح نظم.

وفي الفقه و أصول الشريعة:

١ - خلاصة الأصول في علم أصول الفقه.

٢ - ضياء الحكم.

٣ - ضياء السياسات.

٤ - تقريب الضروري من علوم الدين.

وله في علم المنطق: مفتاح التحقيق.

وله العروض والقوافي: له فتح الطيف.

وفي التوحيد وعلم الكلام:

١ - نظم العقيدة للسيوطي و شرحها للسنوسي.

٢ - نظم النقاية للسيوطي.

٣ - مفتاح الأصول [١].

٤ - وله كتاب في حقوق الإخوان.

٥ - وكتاب في دفع الوسواس.

٦ - ضياء أولى الأمر والمجاهدين.

٧ - ضياء السلطان.

٨ - ضياء السنة.

٩- تعليم الأنام بتعظيم الله تعالى نبينا عليه السلام

---

(١) مقدمة ضياء التأويل في معاني التنزيل، ص ٥.

هذه الثروة من الثقافة الإفريقية الأصيلة، تظل وللأسف الشديد مغمورة، لم تصلنا ولم نعرف عنها إلا النزر اليسير، كل ذلك بفضل من اقتحموا تلك الديار، و طمسوا تلك المعالم الثقافية الرائدة من مدعي الحضارة و التطور، بحيث لم نستطع التعرف على قادة حركة الإصلاح، والثورة الإسلامية في مطلع القرن التاسع عشر إلا بصعوبة بالغة، فضلا عن الوقوف على مؤلفاتهم وآثارهم العلمية، حيث إننا لم حتى الآن معرفة جميع مؤلفات عبد الله بن فودي، فضلا عن معرفة ما تعالجه بعض هذه المؤلفات.

ورغم المشاغل السياسية والعسكرية من تدبير أمور الدولة، ومحاربة أهل البدع والضلالات، كان عبد الله بن فودي شاعرا كثير الإنتاج، ومؤلفا للكتب بالعربية، والفلانية، ولغة الهوسا، كان أحد أعماله عن حياة أخيه عثمان، وما قام به من أعمال طوال حياته الحافلة بنشر الدين الإسلامي، وما شاهده معه أثناء رحلاته لنشر الدين الإسلامي في ولايات الهوسا ؛ من غوبر، وزمفرا، وغيرها من الولايات المجاورة التي قصدها الشيخ عثمان، ثم إعلانه الجهاد، وانتصاراتهم على أعدائهم، ثم إرساء نظام الدولة الإسلامية الجديدة، إلى أن تفرغ الشيخ عثمان للتأليف و الوعظ والتدريس، وحتى وفاته سنة ١٨١٧م.

شعره وجهاده:

كان الجو السياسي والديني والاجتماعي مملوءا بالاضطرابات الشديدة في أوائل فترة مملكة سكتو، وكانت الحروب الكثيرة تدور رحاها في أنحاء المملكة والممالك المجاورة لها. فكانت البيئة كلها شديدة الاضطراب، قليلة الاستقرار [١]، ولا شك أن يهيء هذا الجو قرائح الشعراء، ويستحثهم على إقراض الشعر وإنشاده، خاصة وأن انتصاراتهم الحربية تزداد كل يوم، ومملكتهم تتوسع من حين لآخر.

كان الشعراء الذين من بينهم عبد الله بن فودي يسجلون انتصاراتهم العسكرية المتتالية في أشعارهم، ويصفون معاركهم، وقوتهم في هذه المعارك، وتخاذل خصومهم وضعفهم أمامهم. ولذلك كثر في هذه

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص ١٤٢.

الفترة الشعر الذي يمكن تسميته بشعر الحرب أو شعر الجهاد [١]. الذي يستهدف إثارة حماس المجاهدين للدفاع عن دينهم وعقيدتهم، والنيل من أعدائهم وخصومهم، وتسجيل النصر والغلبة على أعدائهم.

كذلك تناول الشعراء الشعر التعليمي في ذلك الوقت، فنظموه في مختلف الفنون العلمية ؛ من نحو وصرف، وفقه وأصول وغيرها... حيث كانت تساعدهم كثيرا على تدريس المادة العلمية، و السبب في ذلك أن الشعراء في ذلك الوقت هم أنفسهم العلماء، وأكثرهم رجال الدولة، والقائمين عليها في نفس الوقت، فكان العالم ينظم المسائل الفقهية او اللغوية، ثم يدرسها لطلبته، فيجد الطالب سهولة في حفظ ذلك، لانه كلام موزون مقفي، ثم إن النغمة والإيقاع من معينات الحفظ والتذكر [٢]. وأشهر هؤلاء العلماء والشعراء في ذلك الوقت: عبد الله بن فودي، ومحمد بللو، والشيخ محمد سمبو، وغيرهم...

وعبد الله بن فودي في مجال الشعر التعليمي، لا يشق له غبار ولا يقترب من ساحته منافس، منظوماته المتعددة في مختلف المجالات والفنون العلمية تشهد بذلك، ثم إنه قال الشعر في مختلف أغراضه ومناسباته، وإن كان معظم الشعراء في عصره "قد أكثروا من شعر الجهاد والمدح، كما أكثروا في الوعظ والإرشاد، وفي الشعر التعليمي عامة، ذلك ان الظروف السياسية والدينية والاجتماعية في تلك الحقبة، كانت تقتضي إنتاج ذلك النوع من الشعر " [٣]وهذا ما أملته عليهم ظروف المجتمع السيئة، من الفساد الديني، والتدهور الأخلاقي، والجهل الذي تفشى وانتشر بين طبقات الشعب، والفقر المدقع الذي يعانيه هذا الشعب.

كل هذه الظروف أملت على عبد الله بن فودي وغيره من الشعراء، الإقلال من الشعر في بعض الأغراض مثل: الهجاء والغزل وغيرها، والإكثار من شعر الجهاد، والشعر التعليمي، والشعر الديني، وشعر المواعظ.

---

(١)انظر: المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٢.

(٣)المصدر نفسه، ص ١٥٨.

وبعد ان هدأت الأمور واستقرت الأحوال باستكمال الانتصارات المؤزرة، والقضاء على أمراء الفساد والضلال في تلك المنطقة، أخذ العلماء الشعراء يتجهون إلى تعليم الشعب وتثقيفه، اتجهوا إلى الجهاد الأكبر بعد الأصغر، فبعد أن تم تأسيس الدولة على أسس دينية سليمة، ونظم سماوية رفيعة، قاموا على ساق الجد ينشرون الثقافة العربية الاسلامية، وكان يشترك في ذلك رجال الدولة والشعب على حد سواء، كل حسب طاقته، فمنهم من قام بالتأليف والتدريس والوعظ ؛ كالشيخ عثمان نفسه، وأخيه عبد الله، وابنه محمد بللو، بالإضافة إلى مهام الدولة، ومنهم من اكتفى بالتدريس و الوعظ وهم كثيرون.

ومن ثم عكف جمع من العلماء على تأليف الكتب الدينية وكتابة الرسائل والمنشورات التي تعالج المسائل الدينية والاجتماعية [١]، والتي تسهم في بناء صرح المجتمع الإسلامي الجديد، الذي أرسيت دعائمه على أنقاض الإمارات والممالك المتداعية، التي أورثت المجتمع مساؤى كثيرة، وخلفت فيه آفات خطيرة، ظل يعاني منها سنين عديدة.

ولقد أنتج العلماء والأدباء في تلك الفترة كثيرا، فألفوا كتبا عالجو فيها كثيرا من المشكلات الدينية والاجتماعية والسياسية، وإن كان أكثرها تآليف علمية، وبما أن لبعض العلماء ميول أدبية فإنها قد ساعدتهم على التأليف في مجال الشعر والنثر [٢].

نماذج من شعره:

كان عبد الله عالما وأديبا، سخر هذا العلم والأدب لخدمة الاسلام والمسلمين من بنى وطنه، فقد كان شاعرا كثير الإنتاج، ومؤلفا كتب بالعربية والفلانية ولغة الهوسا أيضا. وهو كغيره من الشعراء الذين فرض عليهم المجتمع قرض الشعر في أغراض معينة، والإقلال من بعضها الآخر، ولكنه قد قرض الشعر في المناسبات المتفاوتة والأغراض المختلفة، التي من بينها: المدح، والرثاء، والحماسة، وغيرها ...

---

(١)انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٢)انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٥.

ففي غرض المدح يقول مادحا شيخه الشيخ جبريل ابن عمرو، وأخاه عثمان في أبيات قصيدة له جاء فيها:

متفـــــنٌ متبحـــــر فـــــي علمـــــه متعطـــــف متلطـــــف للمِعْفَـــــجِ[١]

شَـــجِع طليـــق الـــودْج هـــين لـــين للمســـــلمين ومـــــزدرٍ للعَمْهَـــــجِ[٢]

عثمـــان مـــن قـــد جاءنـــا فـــي ظلمـــة فـــأزاح عنـــا كـــل أســـود دَجْـــدَجِ[٣]

وفي غرض الرثاء: يرثى شيخه محمد سمبو بأبيات من قصيدة يقول فيها:

فيـــا للمســـلمين لِيُبْـــك خـــالي "محمـــد ســـمبو" ذو علـــم وغـــالي
فقـــد حمـــدت شـــمائله قـــديما بعلـــم والتقـــي قبـــل ارتحـــال[٤]

وفي غرض الحماسة - شعر الجهاد - يقول في أول معركة كبيرة خاضتها هذه الجماعة المؤمنة وهي معركة كتو:

بـــدأت بحمـــد الله والشـــكر يتبـــع علـــى قمـــع كفـــار علينـــا تجمعـــوا
ليستأصـــلوا الإســـلام والمســـلمين مـــن بلادهـــم والله فـــي الفضـــل أوســـع

وفي الشعر التعليمي: قال عبد الله بن فودي في أول كتابه المنظوم الذي سماه الحصن الرصين في الصرف:

الحمـــــد لله الـــــذي تعرفـــــا إلـــــى عبـــــاده بمـــــا تصـــــرفا
وأنطـــق اللغـــات فـــي البـــوادي البلغـــاء اللســـن والهـــوادي

---

(١) المعفج: هو الأحمق الذي لا يضبط الكلام أو العمل. انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي مادة عفج ١: ٤١٤. ولسان العرب لابن منظور مادة: عفج ٢: ٣٢٥.

(٢) العمهج: جمع عماهيج. وتطلق على: المتكبر، المبتدع، المختال، وهي المرادة هنا. وله اطلاقات أخرى؛ كالطويل والممتلئ لحماً والسريع. انظر القاموس المحيط مادة عمج: ١: ٤١٥. ولسان العرب مادة عمهج ٢: ٣٢٩.

(٣) دجدج: الليل إذا أظلم، ودجدج: أسود حالك، حركة اللغة العربية وآدابها، ص ١٣٤، ١٣٥. وانظر في معاني الكلمة الزبيدي، مرتضى، تاج العروس في شرح جواهر القاموس ، تحقيق لجنة من الأساتذة، الكويت، ٢: ٣٨، ١٠١ ، و ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، ط٥، ٢٠٠٠، مادة دجج ٢: ٢٦٥.

(٤) حركة اللغة العربية وآدابها، ص ١٣٨.

إذ أرســـــل الرســـــل للعبـــــاد يرشـــــدهم مهـــــايع الرشـــــاد[١]
محمـــــد ســـــيد كـــــل نـــــادي وأفصـــــح كـــــل نـــــاطق بالضـــــاد
صـــلى عليـــه ذو الأيـــادي الهـــادي وآلـــــه وصـــــحبه و الزهـــــاد[٢]

هذه نماذج موجزة ومختصرة من شعر عبد الله بن فودي باللغة العربية، وقد قال الشعر بلغة المجتمع، اللغة العامية أيضا. وعثر له على ثلاث قصائد بلغة الهوسا، والتي ما تزال باقية حتى الآن. زد على ذلك ما قاله في الوعظ والارشاد والحكم والامثال، والزهد و التصوف، إلى غير ذلك.

ومن خلال تفسيره يطلعنا على نموذج من شعره ويبصرنا بشيء منه. جاء ذلك في سورة النمل عند تفسيره لقولـــه تعـــالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ النمل: ١٨ "إنهم يحطمونكم ولو شعروا لم يفعلوا، كأنها علمت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء و (لا يحطمنكم) أي: لا يقفوا حيث يحطمونكم، وهو جواب للأمر، ودخول النون لكونه نهيا في المعنى او بدل من الامر، لانه في المعنى نهي لان (ادخلوا مساكنكم) في معنى لا تكونوا حيث كنتم. وفي هذه الآية من إيجاز القصر، وهو قلة الألفاظ مع كثرة المعنى لا لحذف، ما تحار فيه العقول، وفيها أحد عشر معنى من أنواع الكلام: النداء والكناية والتنبيه والتسمية والأمر والقصة، والتحذير والتخصيص، والتعميم للإشارة والعذر.

فراعت النملة خمسة حقوق: حق الله ورسوله وجنده، وحقها ورعاياها، وقد نظمت كل هذا في المفتاح و سلالته بقولي مثلا لآيات القصر:

كآيـــــةِ العَـــــدْلِ مـــــع الإحســـــان وآيـــــة النمـــــل علـــــى مَعـــــانِ
نـــــادَتْ بيـــــا كَنَّـــــتْ بـــــأيٍّ نبَّهَـــــتْ بهـــــا وسَـــــمَّتْ باســـــم نمـــــل أمَـــــرَتْ

(١)مهايع جمع مهيع، وهي الأشياء الواضحة البينة، انظر لسان العرب مادة هيع ٨: ٣٧٩.
(٢) حركة اللغة العربية وآدابها، ص ١٥٢.

وبـــادخلوا قَصَّـــت بِسُـــكْنى حـــذَرتْ حطّـــمَ ســـليمانُ فخصَّـــتْ عمَّمـــت
جنـــوده ثـــم بهـــم أشـــارت بنفـــي علـــم عـــذَرَت فراعـــت
حـــقَّ الإلـــه والرســـول ولهـــا وجنـــده ونافعًـــا عيالهـــا[١]

كذلك لم يكن عمل ابن فودي مقتصرا على العلم والأدب والتأليف فحسب، - ولو كان كذلك لكفاه شرفا وفخرا - بل تجاوزه إلى السياسة والوزارة، وإلى الحرب والجهاد، وقيادة الجيوش ضد أعداء الإسلام والمسلمين، ومن ثم كان شخصية مهمة جدا بالنسبة للمسلمين عامة، ولأخيه خاصة.

أما بالنسبة لعامة المسلمين، فقد كان إماما لمساجدهم وشيخا لمدارسهم، ومقيما للعدل والأمن بينهم. ينشر بينهم نور العلم والمعرفة بدروسه ومواعظه، وكذلك بكتبه ومؤلفاته.

وبالنسبة لأخيه وأستاذه الشيخ عثمان، فقد كان عقله المفكر ودرعه الواقي وسنده القوي، كفاه المهمات الجسام أيام حكمه، وتكفل له بأعباء الدولة، فناضل وكافح، ونصح وآزر، وجد وجاهد ضد أعداء الإسلام وخصومه. يقول الأستاذ أبو بكر محمود في هذا الصدد: لقد كان " قطب رحى جهاد الشيخ عثمان، وقائد الجيوش وشيخ المدارس، وإمام المساجد، ووزير أمير المؤمنين، ومدبر السياسة ومؤسسها، ومقيم العدل وبانيه " [٢].

كذلك يذكر صراحة في تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل، هذا الجهاد الذي قام به، وبين كيف أن النصر دائما للإسلام وأهله، إذا صدق عزمهم وخلصت نيتهم في إعلاء كلمة الله تعالى، والدفاع عن دينه المجيد، وذلك في سورة الحج عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠ حقا إلى يوم القيامة، وقد أنجز الله وعده بأن سلط الله

(١) ضياء التأويل في معاني التنزيل، ١٦٣/٣ .
(٢) مقدمة ضياء التأويل في معاني التنزيل، ص ٥.

المهاجرين والأنصار على صناديد العرب، وأكاسرة العجم وقياصرتهم وفراعنتهم، وأورثهم أرضهم وديارهم، وذلك مستمر في كل من قام لنصرة دينه إلى يوم القيامة، كما شاهدناه عيانا حين قمنا للجهاد والحمد لله " [1]- تعالى - على ذلك.

(١) ضياء التأويل في معاني التنزيل، ٩٣/٣ .

الفصل الثاني: نبذة مختصرة عن الحالة الاجتماعية والعلمية في عصر المؤلف.

يقتضي الحديث عن عصر ابن فودي، الإشارة أولاً إلى أخيه الشيخ عثمان الذي يكبره باثني عشر سنة، وثورته الإصلاحية الإسلامية التي قام بها، ومملكته الإسلامية التي أسسها، وشارك فيها عبد الله بنصيب وافر، حيث "كان مرافقاً لأخيه عثمان في عمله الإرشادي، وقائداً للجيش الإسلامي في الجهاد سنة ١٨٠٤م في أرض الهوسا".

" وكان مولد الشيخ عثمان بن محمد فودى في أواخر صفر سنة ١١٦٨ هـ، الموافق ديسمبر ١٧٥٤م بفوت، ووالده محمد الملقب بفودى، ومعناه باللغة الفلانية: الفقيه، ينتمي إلى قبيلة فلانية تسمى تورب، وهي من القبائل الفلانية التي هاجرت من فوت -تقع في السنغال-، إلى أن وصلت تدريجياً بعد سنين إلى غوبر إحدى ولايات الهوسا حيث استقرت" [١]. شب الغلام في قرية تسمى طغل، وقرأ القرآن على والده، وبعد أن أكمله وانتهى من حفظه، شرع يتنقل من عالم إلى آخر، يتعلم ويتفقه، حتى أصبح عالماً كبيراً.

ومن أشهر العلماء الذين قرأ عليهم وتأثر بهم: الشيخ جبريل بن عمرو الذي كان من أكابر العلماء في ذلك الزمان، والذي صاحبه الشيخ عثمان نحو سنة وتأثر به كثيراً، حيث أقر الشيخ عثمان نفسه بذلك فيقول: "إنه أول من قام بهدم العوائد الذميمة في بلادنا السودانية هذه، وكان كمال ذلك ببركة الله على أيدينا" [٢].

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها، ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠، ٦١.

وعندما ناهز الشيخ عثمان العشرين سنة، بدأ بحركته الإصلاحية فكان يدرس للناس، ويعلمهم ويرشدهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويدعوهم إلى ترك العوائد المخالفة للشرع، وإحياء السنة وإخماد البدع [١].

ولم يزل يناضل في هذا المضمار؛ ينتقل من قرية إلى قرية، ومن مكان إلى آخر، يصحبه في جميع هذه الرحلات الجهادية، لنشر الدين الإسلامي أخوه عبد الله، حتى اشتهر أمره وعلا صيته، وكثرت جماعته، وقويت شوكتهم، حتى اضطر أعداؤهم أن يحسبوا لهم ألف حساب، زد على ذلك طباع الشيخ عثمان، ونفسه القوية التي لم تكن تعرف المهادنة أو المصالحة أو الاستسلام على حساب الدين، فلم يكن يبالي بالملوك والحكام في زمانه، ولم يسر إليهم أو يتودد لهم، كما يفعل غيره من العلماء، حيث كانوا يلتفون حول الملوك، يطلبون الرزق منهم ويسعون في رضاهم، ولما "اشتهر أمر الشيخ، وفد إليه الناس من كل صوب ينتفعون بمواعظه، ويتأدبون بآدابه، ويدخلون في جماعته أفواجا" [٢].

كان أول أمير قصد الشيخ أمير غوبرباوا، "فبين له الإسلام الصحيح ونصحه باتباع السنة، وإقامة العدل في بلاده. ولعل أمير غوبر أصغى إليه أول الأمر، ولكنه لما فكر في أمره وقدره، أدرك خطورة هذه الحركة الإصلاحية التي يدعو لها الشيخ عثمان، فخاف منه وضاق به ذرعاً. وقبل أن يتخلص منه وافاه الأجل، فخلفه أخوه يعقوب، وبعده نافتا، وهو الآخر أراد أن يطفئ نور تلك الحركة الإصلاحية، إلا أن مدة ملكه لم تطل فلم يلبث أن قضى نحبه. ثم تولى من بعده ابنه ينفا، وكان كسلفه أو أشد منه كراهية للحركة الإصلاحية" [٣]. التي تستهدف تحطيم الفساد والبدع، وإقامة القوانين الإسلامية العادلة المنصفة، ومراعاة حدود الإسلام، والعمل بشرعه.

---

(١)المصدر نفسه، ص ٦١.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، شلبي. ٦: ٢٢٧.

(٣) حركة اللغة العربية وآدابها، ص ٦٢.

ولما كثرت المضايقات والتواعدات والمكائد للشيخ وأتباعه، أخذوا في تسليح أنفسهم ضد أعدائهم الذين يتطيرون بهم، وامتلأت صدورهم حقداً وغيظاً عليهم، وعلى شيخهم عثمان، لما كان يتمتع به من احترام وتقدير من جماعته، ولتزايد عددهم في كل وقت وحين [١]. "وهذا أمر طبيعي شاهدناه ونشاهده في جميع حركات الإصلاح في العالم، على مر العصور والأزمان.

وأخيراً اضطر الشيخ عثمان وأتباعه للهجرة، فخرجوا من قريتهم طغل وهاجروا إلى مكان قرب حدود ولاية غوبر يسمى غد، وكان ذلك يوم الخميس الثاني عشر من ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ، الموافق الحادي والعشرين من فبراير سنة ١٨٠٤م" [٢].

ولما أصبحت هذه الجماعة منعزلة عن غيرها، رأت أن لا بد من اتخاذ إجراءات مهمة ولازمة لتنظيم نفسها، حتى لا يدهمها الخطر المحدق بها من كل جانب، فاجتمع أعضاؤها البارزون الذين من بينهم القائد الثاني لهذه الحركة عبد الله بن فودي. اتفق هؤلاء الأعضاء أولاً على ان يختاروا رئيساً لهم، فوقع اختيارهم على صاحب الفضل والنعمة عليهم معلمهم الأول عثمان بن فودي، فبايعوه قائداً وإماماً لهم على الكتاب والسنة، وأول من بايعه أخوه عبد الله وابنه محمد بللو، وبعده صاحبه عمر الكم، ثم بقية الجماعة [٣].

لا شك أن يساعد هذا الاتفاق، وهذا التنظيم على تغيير مجريات الأحداث، وأن تكسب هذه الحركة الفتية دفعاً جديداً بالالتفاف حول مؤسسها الأول، وقائدها المؤمن بربه، المخلص لعقيدته، والمهتم بشعبه، فمن ترقب الأحداث ومستجداتها إلى صنعها، ومن موقف المدافع إلى موقف المهاجم وصانع الأحداث.

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٢)المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٣) انظر المصدر نفسه.

وعندما أعلن الشيخ عثمان الجهاد، توالت المعارك بينه وبين ملوك غوبر، حتى أسفرت هذه المعارك عن معركة فاصلة يقال لها معركة (كتو)، التي انتصر فيها الحق على الباطل انتصارا باهرا، وهو الوصف الذي وصفها به محمد بللو نفسه، لأن عدوهم جهزها تجهيزا قويا من حيث العدد والعدة، في حين كان الشيخ عثمان وأتباعه في قلة من العدد والعدة بالنسبة إليهم [١].

ولا غرابة أن يزيد هذا الانتصار العظيم على قوى الشر والفساد من حماس المسلمين، وأن ينشطوا لنشر دينهم ومحاربة من يخالفهم، من الذين لا يملكون من إلا اسمه، وأن تتطلع نفوسهم إلى المزيد من الانتصارات، وهدم البدع والضلالات.

وبعد تلك المعركة التي وصفها أحد قادتها، الشيخ عبد الله بن فودي بهذه الأبيات من قصيدة له يقول فيها:

فشتت جمعهم وهم عطاش ... حيارى مثل غوغاء الجراد
قتلناهم وحُزْنَا كلَّ مالٍ ... لهم تركوه منثورا بواد
ففر بلا التفات منا ويعدو ... أمام خيوله تعدو بَدادِ

فأنقذه من الموت المتاح ... تعلقه على عرف الجواد
سواد الليل صار لهم حصونا ... فبات ولم يذق طعم الرقاد

وبعد هذه المعركة التي أظهرت أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، أخذت الحركة الإصلاحية الفذة في الامتداد والانتشار لبث نور الاسلام الصحيح، وإخراج أهله من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى المعرفة، وبما أن الشيخ عثمان وأتباعه لم يكن هدفهم إلا الإيمان بالله والتمسك بالدين، وليس السلب والنهب تحت شعار الجهاد، لم يعتمدوا على الجهاد وحده في نشر الإسلام، بل سلكوا طريق الدعوة في أغلب الأحوال، ولم يلجؤوا للجهاد بالقوة إلا عند الضرورة [٢]، لذلك كتب الشيخ عثمان إلى ملوك الهوسا يبين لهم موقفه ليكونوا على علم، وذكر لهم أنه عازم على إحياء السنة المحمدية، وإخماد

(١) المصدر السابق.

(٢)انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ٦: ٢٢٩.

البدعة الشيطانية، وأمرهم أن يلخصوا الله دينه، وأن يتبرؤوا من كل ما يخالف الشرع. فوقعت أوامره في آذان صماء، ولم يجد كتابه قبولا حسنا من الأمراء، فمنهم من مزق الكتاب، ومنهم من توعد الكتاب وهدده [١]، فأعلن عليهم الجهاد.

وعندما أخذت معارك الشيخ عثمان شكل الفتح الإسلامي المنظم، "بدأ بمدينة (كانوا) فهزم أميرها، ثم هاجم إمارة زاريا وفتحها سنة ١٨١٠م" [٢].

وبعد أن تم الانتصار على كل هذه الإمارات والممالك، ودخولها تحت المملكة الإسلامية الجديدة مملكة سكتو وهي: "مملكة في السودان بين النيجر الأدنى والبنيوي، مستوية في الشمال، مضرسة في الجنوب، يرويها نهرا سكتو، وكومادوقو من بحيرة تشاد، هواؤها ناشف في الشمال، كثير الرطوبة في الجنوب، عدد سكانها حوالي (١٠) ملايين نسمة من الهوسة، والبهل، والتوكولور، والسونغاي، أكثرهم مسلمون، أعظم المدن فيها: كانو أورنو، سكوتو نكفي، أبد يسانغة، وياقوبا، وغوبى، كما شملت هذه المملكة كل المنطقة الواقعة بين تمبكتو وبحيرة تشاد"[٣].

لهذه المملكة الناشئة وضع الشيخ عثمان نظاما إداريا دقيقا، خاضعا للنظم الإسلامية السليمة، وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، ولغة الثقافة أيضا، ثم رأى أن الأليق به حلقات العلم والدرس التي اشتاق إليها، وأن يتولى زمام القيادة وزيريه: ابنه محمد بللو الذي ولاه على البلاد الشرقية، وأخوه: عبد الله الذي ولاه على البلاد الغربية، وبذلك كان عبد الله أول أمير فلاني على قواندا ، وأمرهما بإقامة العدل بين الناس، وإخلاص النية، وصدق العزم. وفرغ نفسه للتدريس والوعظ والتأليف، كان ذلك في سنة ١٢٢٧ هـ الموافق ١٨١٣م. واستمر الأمر كذلك علم وعمل، إخلاص

---

(١)انظر: حركة اللغة العربية وآدابها، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف شفيق غربال، ص ١١٨٨.

(٣) ثروب ستودارد حاضر العالم الإسلامي نقله إلى العربية: عجاج نويهض، تعليق وتوضيح: شكيب أرسلان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٧٣م. م ٢، ٣: ٢٣.

وعدل، إلى أن توفي الشيخ سنة ١٢٣٢ هـ الموافق ١٨١٧م. وعمره ثلاث وستون سنة [١]، قضاها في محاربة البدع والضلالات، ونشر الإسلام وقتال خصومه ومحاربتهم، وخدمة العلم وأهله كما يعتبر ضريحه في سكوتو مزارا للمسلمين حتى الآن [٢].

لقد ازدهرت الثقافة العلابية الإسلامية، ولغتها العربية في الدولة الإسلامية الفتية التي بنيت دعائمها، وأسست قواعدها على أساس ديني إسلامي صحيح، من حيث إن هذه المملكة الواسعة لابد أن يكون لها ديوان أو عدة دواوين، ولابد أن تكون لها محاكم شرعية، إلى غير ذلك مما تتطلبه الدولة المسلمة. زد على ذلك أنه لابد لهذه الحكومة من عدد من المثقفين الذين يمكنهم أن يقوموا بإدارة تلك الدواوين.

وبما أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية لهذه الدولة الفتية، فلا بد إذن أن تهتم بها حكومتها المسلمة و تتثقف بها أبناءها، وقد قامت بذلك خير قيام، فشجعت العلماء على فتح أبواب بيوتهم على مصاريعها لتدريس الدين واللغة العربية [٣]، ومن جملة هؤلاء العلماء الشيخ عثمان نفسه، الذي ترك الأمور السياسية والعسكرية لغيره، وأخذ في تعليم وتثقيف أبناء مملكته الفتية.

إن هذه الحكومة لم تفتح مدارس نظامية على النسق المتعارف عليه حاليا، بل كان العلماء يتطوعون لذلك بدون مقابل، ولا يبتغون بذلك إلا وجه الله تعالى، وكان العالم أو الفقيه الذي لم يفتح باب داره لطلبة العلم، كان يعلم على الأقل أصحابه و أهل عشيرته [٤]، وبذلك نشطت حركة التعليم، وازدهرت الثقافة الإسلامية واللغة العربية، التي أصبحت لغة الثقافة والتعليم، ولعل مرجع ذلك إلى العناصر التي تسير دفة الأمور في هذه الدولة، حيث إن الوزراء والحكام في هذه الدولة كانوا من العلماء [٥].

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها، ص ٦٥.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، ص ١١٨٨.

(٣) حركة اللغة العربية وآدابها، ص ٨١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٥) المصدر نفسه ص٨٢.

أضف إلى ذلك التعطش الديني لهذا الشعب، خاصة بعد أن وجدوا من أنقذهم من الحكام الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه، وساروا خلف زعيم ؛ الإيمان بالله عقيدته و مذهبه، و الإخلاص للوطن ديدنه، وحب شعبه مبدؤه، والعدل بين أبناء وطنه سجيته و غايته.

كثرت المدارس غير النظامية وزاد عدد المقبلين عليها، وكثر العلماء وتنوعت مجالسهم العلمية، لا في سكوتو وحدها التي أصبحت في تلك الآونة عاصمة الدولة، ومركزا جديدا للعلم والثقافة، بل في المراكز الأخرى مثل: قواندو، وكندو، وكثنة، وزكزك[١] وغيرها، فازدهرت اللغة والثقافة العربية، وكذلك الدين الإسلامي في هذه البلاد، قبل أن تتسرب إليها الديانة المسيحية والثقافة الأوروبية الحالية [٢]، على أن هذا الازدهار الذي شهدته هذه الثقافة في تلك الفترة، لم يكن متوافرا في الفترة السابقة قبل ظهور مملكة سكتو، وإن كثر عدد العلماء في ولايات الهوسا ومملكة البرنو [٣].

ولكنهم لم يستطيعوا الوقوف في وجه الحكام، والأمراء العابثين الذين يكرهون العلم وأهله، والإصلاح والقائمين عليه، وقد فعلوا ذلك مع الشيخ عثمان وأتباعه من الذين اهتدوا، وتسلحوا بالعلم والإيمان.

وعلى سبيل المثال: فإن "عدد العلماء الذين جمعهم سلطان غوبر في عيد الأضحى للمناظرة مع الشيخ عثمان في سنة ١٢٠٢ هـ الموافق ١٧٨٨ م كان فوق الألف" [٤]، وإذا كان عدد العلماء في ولاية غوبر التي لم تكن ولاية مسلمة كلها قد بلغ هذا الحد، فلا شك أن العدد يكون أكثر في ولاية مثل: كنو وكثنة، لأهميتها العلمية والتجارية، ولأن صلتهما بالعالم الإسلامي كانت أكثر من بقية الولايات الأخرى [٥]؛ القريبة منها والمجاورة لها.

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٢.

(٢) انظر الألوري آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت منشورات دار الحياة ص ٣٧.

(٣) انظر: حركة اللغة العربية وآدابها، ص ٧٩.

(٤) يعلق الدكتور شيخو بقوله: ليس معنى هذا طبعاً أن أولئك العلماء قد وصلوا إلى درجة عالية من العلم، ولكن المقصود أنهم نالوا شيئاً من العلم، يذكر في ذلك الزمن. المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٧٩، ٨٠.

لكن هؤلاء العلماء الأجلاء قد اكتفوا بالتدريس لأقاربهم وآل بيتهم؛ كما فعل والد الشيخ عثمان، أو من تقصَّدهم من أبناء قراهم وسكان مدنهم.

الفصل الثالث: تفسير "ضياء التأويل في معاني التنزيل"
سبب تأليفه وتاريخه وأهميته وأثره تأثره.

العلة الباعثة[١] لتأليف ضياء التأويل:

لم ينبئنا الشيخ عن سبب تأليفه لتفسير ضياء التأويل، ولكنه ذكر أنه لما اشتدت حاجة الراغبين، وإلحاح الملحين أن يكتب لهم تفسيرا يفهمون به كتاب الله، وأن يعتمد فيه على أرجح الأقوال في الإعراب، والاهتمام بفنون البلاغة، والتنبيه على القراءات المشهورة، خاصة قراءة نافع[٢] برواية ورش[٣] عنه؛ لأنها قراءة بلاد السودان، وبيان الأحكام الشرعية على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله[٤]، فاستجاب الشيخ لهذه الرغبات فجاء تفسيره ضياء التأويل حافلا بكل ذلك [٥].

---

(١) العلة الباعثة – وتسمى أيضا العلة الغائية - : هي ما يكون باعثا على صدور الفعل من الفاعل. انظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١٤/١. وثمة أمر ينبغي أن أشير إليه، وهو أنني لم أعتبر طلب الناس من الشيخ أن يصنف تفسيرا علة باعثة، وذلك لأن العلة الباعثة لها جهتان، جهة تبعث على صدور الفعل، وهذه الجهة تكون ذهنية قبل الفعل، وجهة تحصل بعد صدور الفعل، مثال ذلك: من أراد أن بناء سور حول بيته، فإن الجهة التي دفعته إلى ذلك هو أنه أراد أن يحمي بيته، وهذه الحماية هي التي تحصل بعد بناء السور أيضا. فالحماية متصورة في الذهن قبل البناء، وحاصلة في الواقع بعد البناء. فصح اعتبارها على باعثة لتحقق الجهتين.

أما طلب الناس فلا يمكن اعتباره علة باعثة، لعد تحقق الجهة الثانية.

والذي أراه أن العلة الباعثة للشيخ لتصنيف هذا التفسير هو إفادة الناس وتعليمهم التفسير؛ لأنهم في بلاد تندر فيها كتب التفسير، فكان كتابه مصباحا منيرا لهم لفهم كتاب الله.

(٢) أحد القراء السبعة المشهورين، أصله من أصبهان، اشتهر في المدينة المنورة وانتهت إليه رئاسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفا وسبعين سنة، وتوفي بها سنة ١٦٩. انظر: ابن الجزري (ت ٨٣٣) ، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط١ ، ٢٠٠٦. ٣٣٠/٢.

(٣) هو شيخ الاقراء بالديار المصرية، عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو، القبطي المصري، ولد سنة عشر ومئة. جود ختمات على نافع، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه، والورش لبن يصنع، وقيل: لقبه بطائر اسمه ورشان، ثم خفف، فكان لا يكرهه، ويقول: نافع أستاذي سماني به، مات بمصر في سنة سبع وتسعين ومئة. انظر: شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨) ، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، دت، ٥٨/٨.

(٤) هو إمام دار الهجرة، وأحد الإئمة الأربعة، وترجمته مبسوطة في الكتب، توفي سنة ١٧٩، ومذهبه هو عدة بلدان، في أفريقيا وغيرها.

(٥) انظر ضياء التأويل ٧/١.

وقد استشعر الشيخ أن تفسيره طال وضخم، الأمر الذي جعل بعض الطلبة يرغبون عنه، وينفرون منه، فسارع إلى اختصاره، في تفسير آخر سماه: كفاية ضعفاء السودان في بيان تأويل القرآن"، وقال الشيخ عن هذا: " لما منّ الله علي بإكمال تفسير ضياء التأويل، وكان حافلا ببيان القراءات السبع، وبيان أقوال الأئمة الأربعة في الفروع، وبيان علوم اللغة العربية والبلاغة والأصول.....فضعف عنه لذلك الضعفاء، صرفت الهمة إلى تلخيصه لهم، مبنيا على رواية ورش فقط، وعلى مشهور مذهب مالك، وعلى ما لا بد منه من علوم العربية والبلاغة والقصص" [١].

تاريخ تأليفه

أفصح الشيخ عبد الله فودي عن تاريخ انتهائه من تصنيف هذا التفسير، فقد قال بعد تفسيره سورة الناس: "قد يسّر الله إتمام هذا التفسير يوم الثلاثاء بعد الظهر في شعبان لثلاث عشرة[٢] خلت منه سنة إحدى وثلاثين ومئتين بعد ألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام"[٣].

فهذا التفسير جاء بعد أن استوى سوق الشيخ عبد الله في العلوم، وأكتملت آلاته التي يستعين بها في التصنيف، تلك الآلات المتمثلة في علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة، وعلوم الشرع من فقه وحديث وقراءات، وجاء أيضا بعد أن عرك الحياة وعركته، فعمر الشيخ حين انتهى من تأليفه كان

---

(١) فودي ، عبد الله بن محمد، كفاية أهل الإيمان في تفسير القرآن، بيروت، توزيع المكتبة الحديثة ١/١.

(٢) ذكّر المؤلف العددين ثلاث وأنث العدد عشرة؛ لأن المعدود المقدر في سياق كلامه هو لفظة "ليلة"، فأصل التركيب: لثلاث عشرة ليلة خلت....، وإنما قدرت لفظة "ليلة"، ولم أقدر لفظة "يوم" لأن عادة العرب جرت على التأريخ بالليالي لا بالأيام، قال الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: " العرب تؤرخ بالليالي دون الأيام ولكن لا تؤرخ إلا بليلة مضى يومها فيكون اليوم تبعا لليلة وكل ليلة لم يمض يومها لم يعتد بها كذلك إذا ذكروا الليالي في عدد فإنهم يريدون بها الليالي مع أيامها فإذا قالوا عشر ليال فمرادهم بأيامها ". ا.هـ، وعلة هذه العادة كما يقول ابن الجوزي: "أن أول الشهر ليلُهُ، واعتماد العرب على الأهلة" وزعم المستشرق سافاري (Savary) أن العرب يستعملون الليالي لبيان قياس الزمن؛ لأنهم لشدة حرارة بلادهم يظلون طول النهار في خيامهم، ولا يخرجون منها إلا بعد غروب الشمس، وهذا التعليل غير صحيح، وقد رد عليه الدكتور عبد الرحيم الشريف في بحثه بـ "الموسوم أصل الاستدلال بعادة العرب لمعرفة معاني القرآن الكريم وأهمية الالتزام به للوقاية من الخطأ في التفسير ".

(٣) ضياء التأويل ٣١٥/٤.

واحدا وخمسين عاما، فعرف ما يحتاجه الناس لفهم كلام ربهم. وقد صرح بهذا حين قال: "اشتدت حاجة الراغبين...أن أكتب لهم تفسير يفهمون به كتاب الله مع الاعتماد فيه على أرجح الأقوال بإعراب ما يحتاج إلى الإعراب منه، والتنبيه على القراءات المشهورة...وبيان الأحكام الشرعية...، والتنبيه على ما يتعلق بالبلاغة، فأجبتهم إلى ذلك"[١].

وقديما صرح جار الله الزمخشري في كشافه[٢]، وأبو حيان الأندلسي في بحره المحيط[٣] أن علم التفسير لجة لا يخوض غمارها إلا من تسلح بمعارف متنوعة، وعلوم شتى، فذكرا منها الصرف والاشتقاق والنحو والقراءات والفقه وأصوله وعلم الكلام، وغير ذلك من الفنون، مع تركيز الزمخشري على إن العالم لا يجسر على التفسير إلا إذا برع مزيد براعة في علمي المعاني والبيان خاصة[٤].

---

(١) ضياء التأويل ٧/١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٢/١.

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ت٧٤٥هـ، تحق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١١-٩/١.

(٤) الكشاف، مصدر سابق ٢/١.

موارد[١] الشيخ في تفسيره:

معرفة الموارد تستهدف الكشف عن الينابيع التي استقى منها المصنف، وذلك لأنها أحد العناصر التي لها دور في تكوين منهج المصنف، فدراستها تساعد على تفهم منهجه، وتوضيحه.

وما ذلك إلا بسبب أن العلم أخذ وعطاء، وتلقٍّ وأداء، إلى جانب القريحة والذكاء. وعلى قدر تنوع الثمرات والزهور التي يرتادها النحل يأتي رحيقه مختلفا ألوانه وطعمه.

ولقد تعددت الموارد التي استقى منها الشيخ عبد الله فودي، واختلفت مشاربها، وتنوعت مناهجها، وطبقات مصنفيها.

ويمكن تصنيف موارد الشيخ التي أصدر عنها إلى خمسة أقسام:

١ ــ موارده في التفسير

٢ ــ موارده في رواية الحديث وفي درايته

٣ ــ موارده في الفقه

---

(١) المقصود بالموارد هنا ما يعرف بالمصادر، ولا مشاحّة في الاصطلاح، فجائز أن تسمى مصادر، وأن تسمى موارد، وهاتان التسميتان مبنيتان على استعارة تصريحية تبعية، وبيان ذلك أننا شبهنا مجيء المؤلف إلى كتب من سبقه واستفادته منها، بورود عين ماء والارتواء منها، والجامع بينهما هو حصول الاستفادة في كليهما، ثم استعرنا لفظ الورود للدلالة على المجيء إلى كتب السابقين والاستفادة منها، ثم اشتققنا من الورود اسم المكان "مورد" بمعنى مكان الاستفادة، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.
وما ذكرناه عن الموارد يقال عن المصادر.
قال جار الله الزمخشري في معجمه أساس البلاغة ص ٥٤٠ : " ومن المجاز... وهو يعرف موارد الأمور ومصادرها. وإذا أورد أمراً أصدره" . انتهى كلامه . وقد بينت وجه التجوز فيه.
وقد سبقني باحثون آخرون في استعمال الموارد عوضا عن المصادر، فهذا الدكتور أكرم ضياء العمري سمى رسالته في الدكتوراه: موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ويقصد بالموارد المصادر. وهذا الدكتور قاسم علي سعد سمى رسالته في الماجستير: موارد الحافظ الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال. ويقصد بالموارد المصادر.

٤ – موارده في النحو واللغة

٥ – موارده في التصوف وغيره.

وسأستعرض الآن أهم بعض هذه الموارد بشيء من التفصيل:

أهم موارده في التفسير

أ- أحكام القرآن للقاضي ابن العربي[١] المالكي

مؤلفه هو القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ابن العربي الإشبيلى، الإمام العلامة، وُلِد سنة ٤٦٨ هـ وتأدب ببلده، وقرأت القراءات، ثم رحل إلى مصر، والشام، وبغداد، ومكة. وكان يأخذ عن علماء كل بلد يرحل إليه حتى أتقن الفقه، والأُصول، وقيد الحديث، واتسع فى الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والكلام، وتبحَّر فى التفسير، وبرع فى الأدب والشعر.. وأخيراً عاد إلى بلده إشبيلية بعلم كثير، لم يأت به أحد قبله، ممن كانت له رحلة إلى المشرق.

هذا .. وقد ألّف رحمه الله - تصانيف كثيرة مفيدة، منها "أحكام القرآن"، وكتاب المسالك فى شرح موطأ مالك، وكتاب القبس على شرح موطأ مالك بن أنس، وعارضة الأحوذى على كتاب الترمذى، والقواصم والعواصم، والمحصول فى أُصول الفقه، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وتخليص التلخيص، وبالجملة فقد خلَّف - رحمه الله - كتباً كثيرة، انتفع الناس بها بعد وفاته، كما نفع هو بعلمه من جلس إليه فى حياته.

وقد كانت وفاته - رحمه الله - سنة ٥٤٣ هـ منصرفه من مراكش، وحمل ميتاً إلى مدينة فاس ودفن بها. فرضى الله عنه وأرضاه.

---

(١) اشتهر اثنان من العلماء بكنية ابن عربي، أحدهما فقيه وأصولي مالكي، الآخر صوفي أندلسي الأصل، دمشقي الوفاة والمدفن، وقد لجأ بعضهم إلى التفرقة بينهما بأن قال إن الفقيه إنما هو ابن العربي بالتعريف، والصوفي إنما هو ابن عربي بالتنكير.

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

يذكر الإمام ابن العربي في هذا الكتاب سور القرآن كلها، ولكنه لا يتعرض إلا لتفسير ما فيها من آيات الأحكام الفقهية فقط، وطريقته فى ذلك أن يذكر السورة ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام، ثم يأخذ فى شرحها آية آية .. قائلاً: الآية الأولى وفيها خمس مسائل (مثلاً)، الآية الثانية وفيها سبع مسائل (مثلاً) .... وهكذا، حتى يفرغ من آيات الأحكام الموجودة فى السورة. (١)

استفادة الشيخ من تفسير أحكام القرآن

أكثر نقل الشيخ من تفسير من تفسير أحكام القرآن إنما كان في نقل فقه مالك بن أنس من الأحكام الفقهية في آيات القرآن الكريم، وأكثر نقل الشيخ من أحكام القرآن كان نقلا حرفيا نصيا، ويندر أن ينقل منه بالمعنى. وإليك أمثلة على ذلك

١ - في أثناء تفسير قوله تعالى: فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ البقرة: ١٧٣.

قال الشيخ: " حيث وسّع في الضرورات، وخرج الباغي، ويدخل فيه القطاع والخوارج، والمسافر في قطع الرحم، والغارة على المسلمين، وما شاكله من كل عاص بسفره كالآبق والمكاس، فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعند الشافعي وأحمد وهو الصحيح من مذهب مالك كما قال ابن العربي في الأحكام، قال فيه: فإن أراد الأكل فليتب وليأكل، وعجبا لمن يبيح ذلك مع التمادي على المعصية، فمن قاله فهو مخطئ قطعا". ا.هـ (٢) .

(١) راجع الشيخ محمد الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، عام ٢٠٠٠، ط ٧، ٣٣٠/٢.
(٢) ضياء التأويل ١/ ٦٤.

وهذا نقل نصي لكلام ابن العربي مع التصريح بنسبته إليه، وإذا رجعنا إلى تفسير أحكام القرآن وجدنا هذا الكلام بتمامه، إلا أن الشيخ أسقط منه جملة واحدة لم تؤثر في أصل المعنى المراد، وهذا نص ابن العربي في الأحكام [١] : " فإن أراد الأكل فليتب ويأكل ، وعجبا ممن يبيح ذلك له مع التمادي على المعصية ، وما أظن أحدا يقوله ؛ فإن قاله أحد فهو مخطئ قطعا".

٢ – وفي أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾النساء: ١٢٨ ينقل الشيخ عن ابن العربي فيقول: " قال ابن العربي في الأحكام: رضوان الله على الصديقة المطهرة، لقد وفت بما حمّلها ربها من العهد في قوله ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الأحزاب: ٣٤ " ا.هـ [٢]

وهو نص ما في أحكام ابن العربي بتمامه ، فلم يغير الشيخ فيه شيئا.

ب. تفسير البيضاوي واسمه أنوار التنزيل وأسرار التأويل

مؤلفه هو هو قاضى القضاة ناصر الدين عبد الله ابن عمر بن محمد بن على، البيضاوى الشيرازي الشافعى، وهو من بلاد فارس، قال ابن قاضى شهبة فى طبقاته: "صاحب المصنفات، وعالم أذربيجان، وشيخ تلك الناحية. ولى قضاء شيراز". وقال السبكى: "كان إماما مبرزا نظارا خيرا، صالحا متعبدا"، ولي القضاء بشيراز، وتوفى بمدينة تبريز. قال السبكى والأسنوى: سنة ٦٩١ هـ وقال ابن كثير وغيره: سنة ٦٨٥هـ ومن أهم مصنفاته: كتاب المنهاج وشرحه فى أصول الفقه، وكتاب الطوالع فى أصول

(١) ابن العربي المعافري ، أحكام القرآن، تحقيق علي البجاوي، دار الطليعة الثقافية ، بيروت، لبنان، ط ١، عام ٢٠٠٣، ٣٠٥/١

(٢) ضياء التأويل ١/ ٢١١.

الدين، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل فى التفسير. وهذه الكتب الثلاثة من أشهر الكتب وأكثرها تداولا بين أهل العلم.

تفسير العلامة البيضاوى، تفسير متوسط الحجم، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة. وقد اختصر البيضاوى تفسيره من الكشاف للزمخشرى، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات.

وكذلك استمد البيضاوى تفسيره من التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للفخر الرازى، ومن تفسير الراغب الأصفهانى، وضم لذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، كما أنه أعمل فيه عقله، فضمنه نكتا بارعة، ولطائف رائعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا فى أسلوب رائع موجز، وعبارة تدق أحيانا وتخفى إلا على ذى بصيرة ثاقبة، وفطنة نيرة. وهو يهتم أحيانا بذكر القراءت، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها فيذكر الشاذ، كما أنه يعرض للصناعة النحوية، ولكن بدون توسع واستفاضة، كما أنه يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه فى ذلك. (١)

استفادة الشيخ من تفسير البيضاوي

يظهر جليا للباحث مقدار استفادة الشيخ من تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وأنا اعتبره المورد الأول للشيخ من كتب التفسير، فلا تكاد تجد صفحة من ضياء التأويل إلا وفيها نصوص ونقول من البيضاوي وتفسيره أنوار التنزيل.

بل أظن أن الشيخ حينما سمى تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل كان نظرا وملتفتا إلى اسم تفسير الإمام البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، فكلمتا التأويل والتنزيل تجدهما في اسمي التفسير، إلا أن الشيخ قدم وأخر بين الكلمتين، وكذلك نجد كلمة الأنوار في اسم تفسير البيضاوي، واستبدل الشيخ بها كلمة ضياء، وهما متقاربتان في المعنى.

---

(١) التفسير والمفسرون، ٣٣٠/٢.

وتنوعت طرق استفادة الشيخ من تفسير البيضاوي، فتارة ينقل عنه في مسائل تتعلق توجيه معاني بعض الآيات ودفع ايرادات واعتراضات تتوجه إلى بعض الآيات، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾ الأنبياء: ٧ ذكر الشيخ [١] إشكالا حاصله: كيف يأمرنا الله بسؤال أهل الذكر من أهل الكتاب عن النبي صلى الله عليه وسلم، مع أن أهل الكتاب قد يكذبون في إخبارهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، فنقل الشيخ جواب الإمام البيضاوي[٢] بأن أولئك وإن كانوا كفارا، إلا أن إخبار الجم الغفير يوجب العلم[٣].

وتارة ينقل عن البيضاوي في مسائل نحوية وصرفية، مثل ما نقله الشيخ في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾البقرة: ٧١، قال الشيخ [٤] : " قال البيضاوي: لا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل : لا ذلول مثيرة وساقية " [٥].

ومما يؤخذ على الشيخ أنه اتبع البيضاوي حتى في بعض الوجوه الإعرابية الضعيفة، ومن ذلك أن الشيخ [٦] في قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ المائدة: ٦.

---

(١) ضياء التأويل ٦٥/٣.

(٢) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ١، ١٤١٨، ٤٦/٤.

(٣) جواب البيضاوي يرجع إلى مبحث المتواتر.

(٤) ضياء التأويل ٣٦/١.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ٨٧/١.

(٦) ضياء التأويل ١/ ٢٢٨.

عدد الوجوه الإعرابية لكلمة "وأرجلكم" فذكر أنها بالنصب لنافع[١] وابن عامر[٢] والكسائي[٣] وحفص[٤]، عطفا على أيديكم ،

والجر على الجوار للباقين. [٥].

وتخريج قراء سبعية على الجر على الجوار – تبعا للبيضاوي - قول ضعيف، لأنه أولا: العطف على الجوار في هذه الآية استبعده جمهور النحويين والمفسرين، وثانيا: أن النحويين فرقوا بين العطف والنعت في منع الجر على الجوار، فهم يمنعونه في العطف لوجود عاطف، يقول أبو حيان الأندلسي [٦] : ومن أوجب الغسل تأول أنّ الجر هو خفض على الجواز ، وهو تأويل ضعيف جداً ، ولم يرد إلا في النعت ، حيث لا يلبس على خلاف فيه قد قرر في علم العربية " .

---

(١) مرت ترجمة نافع .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن زيد الشامي: أحد القراء السبعة. ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك. ولد في البلقاء، في قرية " رحاب " وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها سنة ١١٨. قال الذهبي: مقرئ الشاميين، صدوق في رواية الحديث. انظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ٩٥/٤.

(٣) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي أبو الحسن الكسائي أمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، قرأ النحو بعد الكبر، عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الامين. له تصانيف، منها " معاني القرآن " و " المصادر " و "الحروف " و " القرآت " و " نوادر " ومختصر في " النحو " و " المتشابه في القرآن و " ما يلحن فيه العوام". توفي ١٨٩هـ. راجع ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء ٥٣٥/١.

(٤) حفص بن سليمان بن المغيرة الاسدي بالولاء، أبو عمر، ويعرف بحفيص: قارئ أهل الكوفة، وجاور بمكة. وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، وهو ابن امرأته وربيبه، ومن طريقه قراءة أهل المشرق، وبروايته يقرأ أكثر المسلمين اليوم. انظر غاية النهاية لابن الجزري، ٢٤٥/١.

(٥) الباقون من القراء السبعة هم: ابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة بن حبيب الزيات، ورواية شعبة لقراءة عاصم الكوفي.

(٦) أبو حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥) ، البحر المحيط في التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ١٤٢٠، ط ١، ٤ / ١٩٢.

ويقول ابن هشام: " والذي عليه المحققون أن خفض الجوار يكون في النعت قليلا ... وفي التوكيد نادرا... ولا يكون في النسق لأن العاطف يمنع من التجاور"[١].

وقال النحاس: " قال أبو جعفر: ولا يجوز أن يعرب شيء على الجوار في كتاب الله عز وجل، ولا في شيء من الكلام، وإنما الجوار غلط، وإن وقع في شيء شاذ "[٢].

فقد تبين أن تخريج الآية على الجر على الجوار قول يخالف أقوال أئمة العربية ومعربي القرآن الكريم، ولا مستند قوي له[٣].

وكثيرا ما كان الشيخ يوازن بين رأي الإمام البيضاوي، ورأي غيره من المفسرين، خاصة عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان في تقسير القرآن[٤]، وكذلك تفسير غاية الأماني في تفسير الكلام

---

(١) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥، ص ٨٩٥.

(٢) النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢١، ٣٤/٢.

(٣) للفائدة أذكر هنا جميع الوجوه التي قيلت في إعراب هذه الكلمة من القرآن الكريم:
الأول: أنه منصوب في المعنى عطفا على الأيدي المغسولة، و إنما خفض على الجوار. وقد بينت ضعف تخريج الكلمة على هذا الوجه في الأعلى.
الثاني: أنه معطوف على "برؤوسكم" لفظا ومعنى، وهذا الوجه في إشكال، وهو أن الأرجل لا تمسح بل تغسل، لذا أجاب بعضهم بأن حكم الأرجل نسخ بوجوب الغسل، أو هو حكم باق، وبه قال جماعة، أو يحمل مسح الأرجل على بعض الأوحوال وهو لبس الخف. ويعزى إلى الإمام الشافعي.
الثالث: أنها جُرت منبهة على عدم الإسراف باستعمال الماء لأنها مظنة لصب الماء كثيرا، فعطفت على الممسوح، والمراد غسلها لما تقدم، وإليه ذهب الزمخشري.
الرابع: أنها مجرورة بحرف جر مقدر دل عليه المعنى، ويتعلق هذا الحرف بفعل محذوف أيضا يليق بالمقام، فيدعى حذف جملة فعلية وحذف حرف جر، قالوا: وتقديره: "وافعلوا بأرجلكم غسلا" .
انظر السمين الحلبي، الدر المصون، تحقيق أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠، ٤/ ٢١٠.

(٤) هذا التفسير من المصادر الأساسية عند الشيخ عبد الله ابن فودي، وقد أكثر من النقل عنه كثيرا، فلا تكاد تقرأ صفحات معدودات من تفسير ضياء التأويل إلا وتجد منه نقلا، وقد التزم الشيخ الأمانة العلمية في نقله عنه، فإذا نقل عنه يقول في أول الكلام: " وفي الجواهر" أو " قال الثعالبي" أو " في الجواهر الحسان "، وإذا انتهى كلامه يشير إلى انتهائه بالعلامة ا.هـ، ويطيل النقل عنه في بعض المواضع، ويختصر في أماكن أخرى.

الرباني، للإمام شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني[١] ، وكان رأي البيضاوي هو المقدم في أكثر الأحايين، من أمثلة ذلك أنه في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأعراف: ٦ قال الشيخ [٢]: " والمنفي في ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ القصص: ٧٨ سؤال الاستعلام، قاله البيضاوي[٣]، وفي غاية الأماني: والقول بأن المنفي سؤال استعلام سهو؛ لأن الاستعلام على علام الغيوب محال. ا.هـ قلت لم يتبين لي جعله سهوا؛ إذ لم يدع إثباته، بل نفيه. تأمل، والمنفي كما يكون ممكنا يكون ممتنعا" .

فههنا يجيب الإمام البيضاوي عن إشكال في الآيات، وهو أن الله سبحانه وتعالى أثبت في سورة الأعراف أنه يسأل الذين أرسل إليهم، بينما في سورة القصص نفى عز وجل أنه يسأل المجرمين، فهناك تعارض ظاهر في الآيتين، فأجاب الإمام البيضاوي بأنه لا تعارض فالسؤال المثبت في آية الأعراف هو سؤال التوبيخ والتقريع، والسؤال المنفي في القصص هو سؤال الاستعلام، فالله تعالى هو عالم الغيب والشهادة لا يعزب عنه شيء، فلا يحتاج إلى أن يسأل سؤال استعلام.

ولكن صاحب غاية الأماني لم يرتض هذا القول من الإمام البيضاوي، وقال إن القول بأن السؤال المنفي هو سؤال استعلام هو سهو، ولكن الشيخ عبد الله فودي وقف مع البيضاوي وبين وجهة نظره.

---

(١) عالم ومحدث ومفسر كردي الاصل، من أهل شهرزور، تعلم بمصر رحل إلى بلاد الترك فعهد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم ولي عهده (محمد الفاتح) وولي القضاء في أيام الفاتح، وتوفي بالقسطنطينية، وصلى عليه السلطان بايزيد. له كتب منها (غاية الاماني في تفسير السبع المثاني) (الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع للسبكي) و (الكوثر الجاري) وهو شرح للبخاري في عدة مجلدات.
الأعلام لخير الدين الزركلي، ٩٧/١.

(٢) ضياء التأويل ٣/٢.

(٣) أنوار التنزيل ٦/٣.

الباب الثاني: التفكير النحوي للشيخ عبد الله فودي في تفسيره

الفصل الأول : التفكير النحوي، تعريفه وحده، وآلياته
معنى التفكير لغة واصطلاحا

أولًا: التفكير لغة:

التفكير مصدر مزيد للفعل فَكَّر الدال على المبالغة، والمصدر المزيد مشتق من المصدر المجرد[١] وهو الفَكْر (بفتح الفاء) [٢] قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "الفاء والكاف والراء[٣]: تردد القلب[١] في الشيء. يقال: تفكر، إذا ردد قلبه معتبِرا". [٢]

---

(١) اشتهر القول بأن المصدر ليس مشتقا لأنه أصل المشتقات كما هو مذهب البصريين وهذا القول على إطلاقه ليس صحيحا، بل لا بد من تقييده بالمصدر المجرد؛ لأن المصدرالمزيد مع كونه مصدرا إلا أنه مشتق من المصدر المجرد، قال الإمام التفتازاني في شرح تصريف العزي مبينا المقصود بالمصدر الذي هو أصل المشتقات: "واعلم أن مرادنا بالمصدر هو المصدر المجرد؛ لأن المزيد فيه مشتق منه". شرح تصريف العزي، للإمام سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١ هـ)، عني به محمد جاسم المحمد، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠١١م، ص٧٤.

(٢) الفَكر بالفتح مصدر أما الفِكر بالكسر فهو اسم مصدر. قاله الجوهري في الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٧٨٣/٢.

وللعلماء كلام كثير في التفرقة بين المصدر واسم المصدر، وألخص بعض أقوالهم في الفرق بينهما، فأقول: المصدر يراد به نفس الحدث أو العملية التي يقوم بها الفاعل، واسم المصدر يراد به الشيء الحاصل من تلك العملية، مثال ذلك إذا تكلم شخص فإن الحدث والعملية التي يقوم بها هو التكلم، فالتكلم مصدر، وينتج عن تلك العملية حروف وأصوات وجمل وعبارات، هذا الشيء الذي نتج يسمى كلاما، فالكلام اسم مصدر. ويسمى اسم المصدر أيضا الحاصل بالمصدر. ولمزيد اطلاع على أقوال العلماء في الفرق بينهما انظر: كتاب الكليات، لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص١٣٠٩. وانظر أيضا: التهانوي، محمد بن علي الفاروقي ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (ت بعد ١١٥٨)، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦، ١٥٥٦/٢.

(٣) بعض اللغويين يعبر عن هذه الحروف الأصول هكذا: ف ك ر، ولا يقصدون به الفعل الماضي، بل يقصدون أي لفظ تركب من هذه الأصول سواء أكان ذلك اللفظ مصدرا أو فعلا أو اسم فاعل..إلخ، والفرق بين تعبير ابن فارس عن الحروف الأصول وتعبير غيره، أن ابن فارس عبر عن الحروف الأصول بالاسم، وغيره يعبر عنها بالمسمّى. ولبيان ذلك أقول: إن لكل حرف اسما ومسمًّى، ومسمّى الحرف هو صوته الذي يلفظ به، مثلا كلمة: جَمَلٌ، لك أن تعبر عن أصوله فتقول: الجيم والميم واللام، وهذا تعبير بأسماء تلك الحروف، ولك أن تعبر عنها فتقول: جَ مَ لَ، وهذا تعبير بمسميات تلك الحروف الأصول. قال ابن الحاجب: قيل إن الخليل رحمه الله قال يوما لطلبته كيف تنطقون بالجيم من جعفر فقالوا جيم فقال إنما نطقتم بالاسم ولم تلفظوا بالمسؤول عنه ثم قال الجواب جَه لأنه المسمى. انظر: سيبويه، عمرو

ونقل الراغب الأصفهاني عن بعض الأدباء ملحظا لطيفا في العلاقة بين الفكر والفرك، فقال: " الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها"[٣] وهذا الملحظ اللطيف مبني على قاعدة الاشتقاق الأكبر[٤] الذي أول من سماه بهذا الاسم أبو الفتح ابن جني، بعد أن لاحظه من شيخه أبي علي الفارسي. [٥]

بن عثمان البصري، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٨٨، ٣٢٠/٣، والشافية في علم التصريف والخط، للإمام عثمان بن الحاجب المالكي، تحقيق حسن أحمد عثمان، المكتبة المكية، مكة، ١٩٩٥م، ص١٣٧.

بعد هذا البيان علم أن عناوين المواد اللغوية في المعاجم والقواميس ليست أفعالا ماضية كما قد يظن، بل هي مسميات الحروف الأصول.

(١) القلب هنا بمعنى النفس أو العقل. قال أبو البقاء الكفوي قال الحكماء حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم، نحو "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب".

(٢) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ٤٤٦/٤.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، تحقيق صفوان داودي، دار القلم ـ دمشق، ص٣٨٤.

(٤) الاشتقاق الأكبر هو عقد تقاليب الكلمة كلها على معنى واحد، مثل ما ذكروا في مادة ق و ل أن تقاليبها الستة على معنى الخفة والسرعة نحو القول والقلو والولق والوقل واللوق واللقو. انظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ٤٥٠/٣.

(٥) قال ابن جني عن الاشتقاق الأكبر: " هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا غير أن أبا على - رحمه الله - كان يستعين به ويُخلِد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر. لكنه مع هذا لم يسمه وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويَسْتروِح إليه ويتعلَّل به. وإنما هذا التلقيب لنا نحن". الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار عالم الكتب - بيروت، ١٣٣/٢.

ثانيًا: التفكير اصطلاحًا[١]

تعددت تعاريف المناطقة للفكر والتفكير، إلا أن مفاد تلك التعاريف واحد، فمن تلك التعريف ما قاله الإمام التفتازاني في تهذيب المنطق والكلام: "حقيقة النظر[٢]: حركة النفس في المعقولات عودًا على بدء لتحصيل المجهول" [٣]

وقال في منطق المظفر: "النظر أو الفكر: إجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة؛ لأجل الوصول إلى المطلوب وهو العلم بالمجهول. وبعبارة أخرى: هو حركة العقل بين المعلوم والمجهول"[٤].

وبيان ذلك أن الإنسان إذا واجه بعقله مشكلا مجهولا، وعرف أنه من أي نوع من المجهولات هو، فزع عقله إلى المعلومات الحاضرة عنده المناسبة لنوع المشكل، وعندئذ يبحث فيها ويتردد بينها بتوجيه النظر إليها، وينظمها ويؤلف فيما بينها لكي يصل إلى حل مشكله، فإذا وجد ما يؤلفه تحرك عقله حينئذ إلى المطلوب أعني معرفة المجهول وحل الإشكال.

---

(١) في اصطلاح المناطقة.

(٢) النظر والفكر عند المنطقيين مترادفان، فتعريف النظر هو تعريف الفكر بعينه.

(٣) تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، عبد القادر المهاجر السنندجي، دار البصائر، مصر، ٢٠٠٦.ص١٧-١٨، بتصرف يسير.

(٤) المنطق، لمحمد رضا المظفر، مؤسسة النشر الإسلامية، إيران، ص ٢٤.

فقد مر العقل لأجل الوصول إلى المطلوب بخمس مراحل:

١- مواجهة المجهول.

٢- معرفة نوع المجهول.

٣- حركة العقل من المجهول إلى المعلومات المخزنة.

٤- حركة العقل بين المعلومات المخزنة لتنظيمها والتأليف فيما بينها بما يناسب المجهول.

٥- حركة العقل من المعلومات التي نظمها إلى المجهول، وهنا يعرف المجهول ويحله. (١)

والحركات الثلاث الأخيرة هي ما يسمى في اصطلاح المناطقة بالفكر أو النظر، ومعلوم أن حصول هذه المراحل يكون بلمح البصر لذا لا يكاد المرء يشعر بها.

ولقد اشتهر بين المثقفين مقولة أن اللغة وعاء الفكر، وهذه المقولة تحتاج إلى بيان وتوضيح، ففي ظاهرها إشكال واضح؛ لأننا عرفنا من خلال تعريف الفكر اصطلاحا، ومن خلال معرفة مراحل التفكير التي يمر عليها الإنسان للوصول إلى معرفة المجهول لديه، عرفنا من خلال هذا كله أن الفكر أو التفكير عملية ذهنية تتم بمعزل عن الأصوات والحروف وعن الكلام اللفظي. (٢) فالمقصود بقولهم إن اللغة وعاء الفكر أن اللغة وسيلة للتعبير عن فكرنا، وليس المقصود أننا نفكر بواسطة اللغة، ولذا قال فرديناند دي سوسير في تعريف اللغة بأنها نظام من العلامات التي تعبر عن أفكار.

---

(١) المرجع السابق ص٢٥ بتصرف.

(٢) احترزت بقيد اللفظي عن الكلام النفسي.

النحو اصطلاحًا

تعريف النحو اصطلاحا لا يكاد يجهله أحد ممن ذاق النحو وعرفه، إلا أنني أذكر هنا تعريفا لطيفا للنحو اخترته لارتباطه وتعلقه ببحثي.

قال السيد الشريف الجرجاني: "النحو: علم يبحث عن الهيئات التركيبية من حيث إفادتها لمعانيها الأصلية"(١)

وشرح هذا التعريف أن الهيئة التركيبة، مثل: زيد كريم، يفيد معنى وهو نسبة الكرم إلى زيد، هذا المعنى يسمى معنًى أصليا أو معنًى أوَّليًّا. وهذا المعنى نتج من تركيب وإسناد الكرم إلى زيد، وأي مركب إسنادي سواء أكان اسميا كما مثلت، أو فعليا مثل: قام زيد، له معنى أصلي ملازم للهيئة التركيبية.

ولأجل أن علم النحو يدرس الهيئة التركيبية، والمعنى الأصلي ملازم لتلك الهيئة قال السيد الشريف: يبحث عن الهيئات التركيبية من حيث إفادتها لمعانيها الأصلية.

ولا شك أن الهيئة التركيبية لا يقال عنها هيئة إلا إذا حصلت علاقة إعرابية وبنائية بين أجزائها، فالحاصل أن النحو يدرس الهيئة التركيبية وعلاقاتها الإعرابية والبنائية والمعاني الأصلية الملازمة لها(٢).

---

(١) هذا التعريف مستفاد من التقسيم الذي ذكره السيد الشريف في فاتحة شرحه على مفتاح العلوم للسكاكي، وقد نقل كلامه علي القوشجي، انظر: عنقود الزواهر، علاء الدين علي بن محمد القوشجي، تحقيق أحمد عفيفي، دار الوثائق والكتب القومية، مصر، ط١، ٢٠٠١، ص١٦٦.

(٢) في هذا البيان الذي ذكرته رد على إبراهيم مصطفى الذي ما فتئ في كتابه إحياء النحو يتهم النحاة بأنهم يقصرون بحثهم على الحرف الأخير من الكلمة، بل على خاصة من خواصه وهي الإعراب، فغاية النحو عند النحاة – على زعمه – بيان الإعراب وتفصيل أحكامه، وفي هذا تضييق شديد لدائرة البحث النحوي، وتقصير لمداه، وقال بأن النحو – كما يراه – هو قانون تأليف الكلام، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها.

وهناك من المعاني ما يعرف بالمعاني الثانوية، كالتأكيد في قولنا: إن زيدًا كريم، وسميت ثانية لحصولها بعد المعاني الأصلية، ولا يعني وصفها بأنها ثانوية أنها غير مهمة، بل هي في غاية الأهمية. والعلم الذي يدرس تلك المعاني الثانوية هو علم المعاني من علوم البلاغة.

وبأدنى تأمل يمكن القول إن النحاة لم يهملوا المعنى ألبتة، بل لهم إلمام والتفات إلى المعاني، وما تقسيم المعاني إلى أصلية وثانوية، ثم بحث النحو عن المعاني الأصلية إلا أصرح دليل على ما ذكرت.

التفكير النحوي اصطلاحا

بعد معرفة أجزاء هذا المركب الوصفي لغة واصطلاحا، لا بد من معرفة هذا المركب نفسه.

اختلفت أنظار الباحثين في تعريف التفكير النحوي، فيرى الدكتور محمد الخطيب أن الفكر النحوي "هو النتاج الذي استخرجته عقول النحاة العرب من خلال التفكر في اللغة وتعمق النظر فيها والوقوف على طريقة العرب في لسانها ومعهود خطابها وفق أسس ومبادئ ومنطلقات منهجية بنوا عليها ذلكم الفكر". (١)

ولكن هذا التعريف لا يستقيم في نظري؛ إذ ينبغي أن يكون الفكر النحوي سابقا على الاستنباط والاستخراج من كلام العرب حتى يمكننا الاستنباط، ويمكن القول بأن هذا التعريف أقرب إلى تعريف النحو منه إلى تعريف الفكر النحوي، ويؤيد هذا التعريف الذي ذكره ابن عصفور في المقرب لما عرف النحو، فقال: " النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها ". (٢)

وأنا أميل إلى ما عرّف به الدكتور علي أبو المكارم التفكير النحوي بأنه "الخطوط الرئيسية العامة التي سار عليها البحث النحوي، و التي أثرت في إنتاج النحاة و فكرهم على السواء". (٣)

وسبب ميلي إليه هو أنه يكشف أن التفكير النحوي آلية تسبق البحث في كلام العرب، وما النحو والقواعد التي استنبطها النحاة إلا ثمرة تلك الآلية التي ساروا عليها في تقعيدهم، وإجالتهم الأنظار في دقيق كلام العرب وجليله.

---

(١) محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النحوي، دار البصائر، مصر، ط٢، ٢٠١٣، ص٢٦.

(٢) ابن عصفور ، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، تحقيق أحمد عبد الستار الجوادي ، وعبد الله الجبوري، مكتبة العاني ، بغداد، ط١ ، ١٩٧٧، ٤٥/١.

(٣) علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار غريب، القاهرة. ص١٧.

وقد بيَّن الدكتور أبو المكارم أن تلك الآلية قديمة قدم النحو، بل كانت موازية لنشأة النحو في الأمصار الأولى، يقول أبو المكارم: " فإن هذا الاصطلاح الذي نستخدمه نقصد به دراسة الخطوط الرئيسية العامة التي سار عليها البحث النحوي، والتي أثرت في إنتاج النحاة و فكرهم على السواء. وهذه الخطوط العامة قديمة جدا في البحث النحوي، حتى إن من الممكن أن نردها إلى البداية الباكرة لنشأة البحث في النحو العربي. أي إلى أواخر القرن الأول و أوائل القرن الثاني ".[١]

وبين أبو المكارم أن مصطلح الفكر النحوي مباين وله دلالة تختلف اختلافا بعيدا عما يراد من اصطلاح علم أصول النحو، فقال مجليا هذا: " أما علم أصول النحو فهو المحاولة المباشرة من النحاة لدراسة هذه الخطوط التي اتبعت في الإنتاج النحوي، و هي محاولة متأخرة فترة طويلة عن الوجود الواقعي لأصول التفكير النحوي، إذ إن أول من يشار إلى أنه قصده بالدرس هو: أبو بكر محمد بن السري بن السراج المتوفى سنة ٣١٦ هـ في كتابيه: " أصول النحو الكبير و الصغير " [٢]. ثم كان أبو علي الفارسي ٣٧٧ هـ واسطة نقلت بعض آثار أستاذه ابن السراج إلى تلميذه أبي الفتح عثمان بن جني ٣٩٢ هـ الذي تناول بعض قضايا هذا العلم في بعض كتبه، و بخاصة في كتابه: " الخصائص " ثم قصده بالدرس عقب هؤلاء عالمان آخران هما: أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ فخصه برسالتيه: " الإغراب في جدل الإعراب "[٣] و " لمع الأدلة في أصول

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هذا وهم من الدكتور أبي المكارم، إذ كتاب أصول النحو لابن السراج ليس باحثا عن الخطوط التي اتبعت في الإنتاج النحوي، بل ليس فيه إلا قواعد ومسائل النحو المعروفة المتداولة، وقد تنبه أبو الفتح ابن الجني إلى هذا الوهم قديما فقال في مقدمة كتابه الخصائص ص ١-٢:" وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه، إلا حرفا أو حرفين في أوله ". انتهى. ويبدو لي أن أبا بكر ابن السراج إنما قصد من اسم "أصول النحو" المسائل والقواعد الأصول في علم النحو التي يعذر طالب علم العربية في جهلها، على أن في مصنفه من فروع المسائل والقواعد لا عُمَدِها وأصولها أيضا شيء كثير.

(٣) هذا الكتاب هو في علم الجدل، وعلم الجدل هو القواعد والآداب في الاستدلال والمناظرة التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٥٨٠/١. وكان هذا العلم شائعا لدى المناطقة والفقهاء لحاجتهم إليه في الحجاج والمناظرة، قال ابن الطيب الفاسي في كتابه فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح ٢٠٢/١: علم الجدل من جزئيات الفن المشهور بآداب البحث وعلم المناظرة.

النحو" بالإضافة إلى بعض بحوث موزعة بين كتابيه: " أسرار العربية " و " الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين ". و أما العالم الثاني فهو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ[١]. و قد أصدر السيوطي أهم ما كتب في هذا العلم في كتابيه: " المزهر في علوم اللغة و أنواعها " و " الأشباه و النظائر في النحو " ثم في كتابه البالغ الأهمية: " الاقتراح في علم أصول النحو ". و لا تعود أهمية هذا الكتاب الأخير إلى ما أضافه السيوطي من جديد، و إنما تمتد هذه الأهمية عن كونه استطاع أن يجمع شتات الأبحاث السابقة عليه، و أن يؤلف بينها، و ينسقها، و يجعل منها علما محدد المعالم و المبادئ، واضح القسمات و الأصول. ومن ثم كان محور عدد من الشروح و التعليقات، من أهمها شرحا: ابن الطيب[٢] و ابن علان[٣].

ولكن ابن الأنباري نقله إلى الحجاج بين البصرية والكوفية من أجل تثبيت آراء مذاهبهم وهدم مذاهب المخالفين، لذلك جاء تأليف كتاب الإغراب في جدل الإعراب بعد تأليف كتابه الإنصاف، وسبب هذا ظاهر إذ قام ابن الأنباري في الإنصاف بذكر آراء البصرية والكوفية وذكر مستند كل فريق من الشواهد والأقيسة النقلية والعقلية ثم بدا له أن ينقل ذاك الحجاج على صورة أقيسة منطقية، لذلك كله ما زلت أتردد في عد كتاب الإغراب من كتب أصول النحو، إذ أراه كتابا في الدفاع عن الآراء النحوية عن طريق علم الجدل. ثم بعد كتابة هذا رأيت كلاما لابن الأنباري نقله السيوطي في الاقتراح ص ١٦-١٧، قال: قال في كتابه (نزهة الأنباء في طبقات الأدباء): " علوم الأدب ثمانية: اللغة، والنحو، والتصريف، والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب وأنسابهم " ثم قال: " وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما: علم الجدل في النحو، وعلم أصول النحو. فهذا كلام صريح في أن علم الجدل في النحو غير علم أصول النحو، وقد ذكر ابن الأنباري أنه ألف الإغراب في علم جدل النحو، وألف لمع الأدلة في أصول النحو. فلا أرى بعد كل هذا صواب من يجعل كتاب الإغراب من كتب علم أصول النحو.

(١) لي نظر في جعل السيوطي هو العالم الثاني في التأليف في علم أصول النحو وسأبين هذا بعد قليل.

(٢) اسم كتابه فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح، وهو مطبوع في مجلدين بتحقيق الدكتور محمود فجال الذي توفي في هذا العام ٢٠١٦ رحمه الله تعالى. وابن الطيب هو شيخ العلامة مرتضى الزبيدي، وقد اعتمد عليه الزبيدي كثيرا في كتابه تاج العروس في شرح القاموس.

(٣) اسم كتابه داعي الفلاح لمخبآت الاقتراح، وقد نشره الدكتور الأردني جميل عويضة.

وابن علان هو محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي: مفسر، عالم بالحديث، من أهل مكة. له مصنفات ورسائل كثيرة، منها (ضياء السبيل) في التفسير، و (الطيف الطائف بتاريخ وج والطائف - خ) في مكتبة الحرم المكي (الرقم ١٢٠) و (شرح قصيدة ابن الميلق وقصيدة أبي مدين - ط) و (الفتح المستجاد لبغداد) و (المنهل العذب المفرد في الفتح العثماني لمصر ومن ولي نيابة ذلك البلد) وثلاثة تواريخ في (بناء الكعبة) و (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - ط) ثمانية أجزاء، في شرح (رياض الصالحين) للنووي، و (المواهب الفتحية على الطريقة

بين مدلولي هذين الاصطلاحين كثير من الاختلاف إذن، فإن أحدهما قديم و الآخر متأخر، و أحدهما ممتد و موسع و الآخر محدود و مرحلي. غير هذين الوجهين من الاختلاف ثمة ملاحظة بالغة الأهمية لا ينبغي إغفالها، أن " علم أصول النحو " على الرغم من أنه كان محور دراسات عديدة توفرت عليه لكشف معالمه و تحديد أبعاده، فإن دراساته – على وجه العموم – تشوبها سمة بارزة هي ذاتية التناول. فإن النتائج التي توصل إليها الباحثون فيه لم يسلم إليها التحليل الدقيق للاتجاهات الحقيقية التي حكمت البحث النحوي، و إنما أنتجتها الثقافة الخاصة و الأحكام المسبقة، و هو ما نرجو أن يتضح من خلال تحليلنا للأصول العامة للتفكير النحوي" [١].

هل هناك علم اسمه أصول النحو

شاع لدى الباحثين التسليم بوجود علم أصول النحو، ولا تكاد تجد أحدا يناقش فكرة وجوده أو عدمه، ولي رأي أحب أن أدلي به في هذا المقام.

لو تأمل الناظر في كلام ابن جني – وهو أول من كتب في أصول النحو كما عرفنا سابقا - الذي أورده في أول كتابه الخصائص، أعني قوله "وذلك أنّا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه" [٢] لعلم يقينا أن أصول النحو إنما هي جارية على أصول الفقه وأصول الكلام[٣]، أو قل هو تطبيق لأصول الفقه على القواعد النحوية.

المحمدية - خ) في التصوف، و (التلطف في الوصول إلى التعرف - خ) في الأصول، والفتوحات الربانية على الأذكار النووية - ط) و (رفع الخصائص - خ) و (مثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام - خ) و (إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل - ط) لغة. الأعلام للزركلي

(١) أصول التفكير النحوي ص١٩.

(٢) الخصائص لأبي الفتح ابن جني ٢/١.

(٣) المقصود به بأصول الكلام أصول العقائد، وعلم الكلام هو العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، كما عرفه ابن خلدون في المقدمة ٤٢٩/٢، أو هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية وإبراز الحجج ودفع الشبه" وهذا تعريف عضد الدين الإيجي في المواقف ٧/١.

والسيوطي نفسه في مقدمة الاقتراح يشير إلى هذا حيث قال: "أصول النحو الذي هو بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه" [١]

و تعريفهم لعلم أصول النحو هو عين تعريف علم أصول الفقه، إذ يعرفه السيوطي بأنه: "علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية، من حيث هي أدلته، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل"[٢]، ويعرف شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أصول الفقه بأنها: أدلة الفقه الإجمالية وطرق استفادة جزئياتها وحال مستفيدها" [٣] فهذان تعريفان متطابقان طبق النعل للنعل إلا أنه أبدل النحو بالفقه.

وإذا طابقت بين كتاب في أصول الفقه كجمع الجوامع لتاج الدين السبكي ، وكتاب في أصول النحو كالاقتراح لجلال الدين السيوطي تجد تشابها مذهلا، وهذا جدول يبين مضمون الكتابين:

فهرس كتاب جمع الجوامع للسبكي	فهرس كتاب الاقتراح للسيوطي
الكلام في المقدمات	الكلام في المقدمات
الكتاب الأول في الكتاب ومباحث الأقوال	الكتاب الأول في السماع
الكتاب الثاني في السنة	الكتاب الثاني في الإجماع
الكتاب الثالث في الإجماع	الكتاب الثالث في القياس
الكتاب الرابع في القياس	الكتاب الرابع في الاستصحاب
الكتاب الخامس في الاستدلال	الكتاب الخامس في أدلة شتى

(١) الاقتراح في أصول النحو ص ١٤.

(٢) الاقتراح في أصول النحو ص ٢٥.

(٣) شيخ الإسلام، زكريا الأنصاري الشافعي، غاية الوصول شرح لب الأصول، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٥٣، ص ٤.

الكتاب السادس في التعادل والتراجيح	الكتاب السادس في التعارض والترجيح
الكتاب السابع في الاجتهاد	الكتاب السابع في أحوال مستنبط هذا العلم

جدول (١) موازنة بين محتوى كتاب جمع الجوامع و محتوى كتاب الاقتراح

فالناظر في هذا الجدول لا تخطئ عينه رؤية التشابه الكبير بين مضموني الكتابين.

وعلى الرغم من هذا تجدهم مجمعين على إفراد هذا الاسم (علم أصول النحو) بمنأى عن علم أصول الفقه وعده علما مستقلا قائما برأسه.

ثم وقفت على نص للإمام علي القوشجي[١] ألقى فيه باللائمة على بعض معاصريه الذين ألفوا في علم أصول النحو، وهأنذا[٢] أنقله لما فيه من الفوائد التي سأعلق عليها، قال القوشجي: "وأنا أنبئك بشيء عجيب، وأنبهك على أمر جديد، و هو أن من أبناء الزمان[٣] من تشبث بأذيال اللغو، و اخترع فنا

(١) هو علي بن محمد القوشجي أصله من سمرقند. كان أبوه من خدام الأمير " أُلُغ بك " ملك ما وراء النهر، يحفظ له البزاة (ومعنى القوشجي في لغتهم حافظ البازي " وقرأ علي على الامير ألغ بك - وكان ماهرا في العلوم الرياضية - ثم ذهب إلى بلاد كرمان فقرأ على علمائها، وصنف فيها " شرح التجريد - ط " للطوسي، وعاد. وكان ألغ بك قد بنى " مرصدا " بسمرقند، ولم يكمل، فأكمله القوشجي. ثم رحل إلى تبريز فأكرمه سلطانها (الامير حسن الطويل) وأرسله في سفارة إلى السلطان محمد خان (سلطان بلاد الروم) ليصلح بينهما، فاستبقاه محمد خان عنده، فألف له رسالة في الحساب سماها " المحمدية - خ " أجاد فيها، ورسالة في علم الهيئة سماها " الفتحية - خ " فأعطاه محمد خان مدرسة " أيا صوفية " فأقام بالآستانة وتوفي فيها. وله " حاشية على أوائل حواشي الكشاف للتفتازاني " و " عنقود الزواهر - ط " في الصرف، و " حاشية على شرح السمرقندي على الرسالة العضدية - ط " في الوضع، وكتب أخرى بالعربية والفارسية. توفي سنة ٨٧٩ هجرية. انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٩/٥.

(٢) كتبتها هكذا، وحذفت ألف ها لأن قاعدة علم الرسم تقول إن ألف ها التي للتنبيه تحذف في ثلاثة مواضع، أحدها إذا جاء بعدها ضمير مبدوء بهمزة، وأيضا حذفت ألف الضمير أنا لأن القاعدة تقول أيضا أن ألف الضمير أنا تحذف إذا وقع هذا الضمير بين ها التنبيه وذا الإشارية. انظر المطالع النصرية للمطابع المصرية للشيخ نصر الهوريني ص ٣٧٢. وبهذا تعلم أن كتابة بعضهم: ها أنا ذا، هأناذا، ها أنذا، ليست بسديدة.

(٣) إذا علمت أن القوشجي توفي سنة ٨٧٩، وأنه يتحدث عن معاصر له، فينبغي أن يضاف إلى الذين كتبوا وألفوا في علم أصول النحو هذا العالم المعاصر للقوشجي، ولكن هذا العالم مجهول اسمه ووصفه، فليت القوشجي أوقفنا على

في العربية سماه أصول النحو، وطول الكلام بالوهم و الوسواس، وتعدى فيه حد العقل و القياس، فقال أما حد أصول النحو لقبا: فالعلم بالقواعد التي يتوصل بها توصلا قريبا إلى استنباط الأحكام الفرعية عن أدلتها التفصيلية [١] ثم قال و أما أقسامه فثلاثة نقل و قياس و استصحاب الحال، وحد الدليل النقلي بأنه الكلام العربي الفصيح عن حد القلة إلى حد الكثرة، و احترز بالقيد الأخير عما جاء شاذا من كلامهم" [٢]

ثم بين القوشجي بعد ذلك بعض وجوه اعتراضه على علم أصول النحو، ومن تلك الوجوه أن التعريف الذي ذكره ذاك العالم لأصول النحو غير مطرد [٣] .

اسمه. وبذاك يعلم أن السيوطي ليس هو ثاني من ألف في أصول النحو، إذ السيوطي ولد سنة ٨٤٩ توفي سنة ٩١١، فيكون عمر السيوطي حين وفاة القوشجي سبعا وعشرين سنة، نعم قد يقال إن السيوطي صنف وألف وهو صغير؛ إذ إن أول كتاب صنفه هو رسالة في الكلام على أول سورة الفتح ألفه سنة ٨٦٧، لما كان عمره ١٨ سنة، وهذه الرسالة كبحث التخرج له إذ ألفه لما أجازه شيخه البلقيني بالإفتاء والتدريس، فألف السيوطي هذه الرسالة وألقاه أمام شيخه فكان أول درس له، قد يقال إن السيوطي الذي اشتهر بالتأليف صغيرا لا يبعد أن يكتب كتاب الاقتراح في السابعة والعشرين من عمره، وإذا كان الأمر كذلك فيكون العمر الذي ألف فيه السيوطي كتاب الاقتراح في هذه الفترة، وبهذا أكون أول من أشار إلى فترة تأليف الاقتراح حيث لم يفعل ذلك أي من محققي كتاب الاقتراح على كثرتهم.

ثم بعد أن كتبت هذا الكلام تبين لي بالدليل أن مؤلف الكتاب الذي يتكلم عنه القوشجي لا يمكن أن يكون هو السيوطي، ولا يمكن أن يكون الكتاب المقصود هو الاقتراح، والدليل عليه أن القوشجي نقل نصوصا من ذلك الكتاب الذي لم يسم مؤلفه، فقد نقل عنه تعريف علم أصول النحو، فقال: "أما حد أصول النحو لقبا فالعلم بالقواعد التي يتوصل بها توصلا قريبا إلى استنباط الأحكام الفرعية عن أدلتها التفصيلية" وهذا التعريف ليس هو ما أورده الجلال السيوطي في الاقتراح، إذ عرفه السيوطي بأنه: "علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية، من حيث هي أدلته، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل"، وبين التعريفين بون. ونقل القوشجي عن ذاك المؤلف المجهول حد الدليل النقلي بأنه الكلام العربي الفصيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة" وهذا فيه نوع مغايرة عما لدى السيوطي. انظر عنقود الزواهر للقوشجي ص ١٩٣-١٩٤. وبهذا يتضح أنه كان هناك عالم ألف في أصول النحو قبل السيوطي بسنوات قليلة، ولكن ليت القوشجي نقل لنا اسمه.

(١) أورد ابن الحاجب في كتابه المختصر الأصولي ١٨/١ تعريفا لأصول الفقه مقارب جدا لهذا التعريف، فقد قال: أما حده لقبا فالعلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية.

(٢) عنقود الزواهر للقوشجي ص١٩٣.

(٣) عنقود الزواهر للقوشجي ص١٩٣، من شروط التعريفات أن تكون مطردة منعكسة، والحد المطرد هو الذي كلما وجد وجد لمحدود فلا يدخل فيه شيء من غير أفراد المحدود فيكون مانعا. والمنعكس هو الذي كلما وجد المحدود وجد هو

ثم يناقش القوشجي الفكرة في شيء من التفصيل، فيقول[1] تعليقا على مخترع فن أصول النحو: " فقال أما حد أصول النحو لقبا فالعلم بالقواعد التي يتوصل بها توصلا قريبا إلى استنباط الأحكام الفرعية عن أدلتها التفصيلية" ، ثم قال و أما أقسامه فثلاثة نقل و قياس و استصحاب الحال، و حد الدليل النقلي بأنه الكلام العربي الفصيح عن حد القلة إلى حد الكثرة، و احترز بالقيد الأخير عما جاء شاذا من كلامهم و لم يعرف أن حده غير مطرد لصدقه على أصول الفقه و غيره، و إن جعل الأمور الثلاثة أقسام العلم بالقواعد لا يصح إلى على تأويل بعيد عن سياق كلامه جدا، و أن دليل النحو لا يلزم أن يكون فصيحا ، و أن الشواذ الثابتة من الواضع من النحو، فالكلام المشتمل عليه دليل النحو مع أن كثيرا من الأحكام غير الشاذة مما وقع في كلامهم قليلاً و من الشاذة مما وقع فيه كثيراً فلا وجه لزيادة هذا القيد أصلاً، و شرط في الناقل إذا كان بطريق الآحاد العدالة كما في نقل الحديث، و لم يعرف أن أكثر من يؤخذ منه العربية البدو الأجلاف الذين ليس لهم معرفة بالدين و الديانة و نسبة إلى الصلاح و الصيانة ". انتهى كلام القوشجي.

وخاتمة القول في هذا أني أرى أن في علم أصول الفقه لمندوحة عن أصول النحو.

فلا يخرج عنه شيء من أفراد المحدود فيكون جامعا. كقولنا في تعريف الإنسان بأنه: الحيوان الناطق. فهذا تعريف جامع مانع مطرد منعكس

بخلاف حدّه بالحيوان الكاتب بالفعل، فإنه غير جامع وغير منعكس ؛ لأن بعض أفراد الإنسان ليس كاتبا بالفعل، بل بالقوة، فهذا التعريف يخرج بعض أفراد الإنسان. وبالحيوان الماشي فإنه غير مانع وغير مطرد؛ لأن الفرس مثلا حيوان ماش أيضا. فهذا التعريف يدخل فيه الإنسان وغير الإنسان. انظر غاية الوصول شرح لب الأصول ص ٢٠-٢١.

والتعريف الذي يعترض عليه القوشجي يقول هو غير مطرد وغير مانع لأنه يصدق على أصول الفقه كما يصدق على أصول النحو، والتعريف لا يحوز أن يصدق على شيئين متغايرين.

(١) عنقود الزواهر، ص ١٩٢، ١٩٣

الفصل الثاني

القراءات القرآنية في تفسير ضياء التأويل

استمر المسلمون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقرون طويلة يقرؤون القرآن الكريم ويتناقلونه بقراءاته جيلا عن جيل، معتمدين في ذلك أساسا على الرواية الشفوية دون حاجة إلى مؤلَّف يجمع القراءات ويسند كل قراءة إلى صاحبها، وبقي الأمر على ذلك الحال إلى نهاية القرن الثالث الهجري حيث " قلَّ الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبيّنوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزَوا الوجوه والروايات، وميّزوا بين المشهور والشاّذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصّلوها، وأركان فصّلوها" (١).

ولعلّ أبرز من قام بذلك ابن مجاهد حيث تتبع القراءات القرآنية ومشايخها، وصنف فيها كتابه المشهور باسم" السبعة قي القراءات" جمع فيه قراءة سبعة من كبار المقرئين في التاريخ الإسلامي، وينبغي أن نعرف أن نسبة القراءة إلى القراءالسبعة نسبة شهرة واختيار لا نسبة إنشاء وابتكار(٢).

وهذه أسماؤهم كما وردت في كتاب السبعة، وقد رتبناها بحسب تاريخ وفاتهم:

١ - ابن عامر الشامي :هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي، ويكنى أبا نعيم وأبا عمران (ت 118 هـ) تابعي جليل، أقدم القرّاء السبعة وأكبرهم سنا، أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، عن عثمان بن عفان، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل :إنه قرأ على عثمان نفسه.

٢ - ابن كثير المكي :هو أبو محمد أو أبو معبد عبد الله بن كثير الداري (ت 120 هـ)، كان إمام الناس في القراءة بمكة، من التابعين، ولقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، وروى عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أحمد بن علي،، دار الحديث، القاهرة، 2004 دون طبعة ، ج1 ، ص198

(٢) ابن زنجلة، حجة القراءات ، ص ٧٣.

٣ - عاصم :هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي (ت 127 هـ) كان قارئا متقنا، وآية في الفصاحة وحسن الصوت بقراءة القرآن، قرأ على زِرٍّ بن حُبَيش، على عبد الله بن مسعود، على رسول الله، وقرأ أيضا على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمي معلم الحسن والحسين، وقرأ عبد الرحمن هذا على الإمام علي، وأخذ الإمام علي قراءته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤ - أبو عمرو بن العلاء : هو أبو عمرو زبان بن العلا عمار البصري (ت 154 هـ)، كان من أعلم الناس بالقراءة ولغات العرب، مع صدق وأمانة وثقة في الدين، روى عن مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥ - حمزة : هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزّيّات الكوفي (ت 156 هـ) ، قرأ على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش، على يحيى بن وثاب، على زرّ بن حبيش، على عثمان وعلي وابن مسعود، على النبي صلى الله عليه وسلم.

٦ - نافع المدني (ت 169 هـ) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي ُنعَيْم، أبو رويم، الأصبهانيّ، ثم المدنيّ، مولى جعونة بن شعوب الليثي، حليف حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، كان شديد سواد اللون، صبيح الوجه، حسن الخلق، ذا دعابة، أخذ القراءة عن عدد تجاوز السبعين من كبار قراء تابعي المدينة، وبعد الطلب والتحصيل تولى نافع مشيخة الإقراء بالمدينة المنورة لمدة تزيد عن سبعين سنة.

٧ - الكسائي :هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي (ت 189 هـ)، رئيس النحويين الكوفيين وأستاذهم، آخر القراء السبعة وأصغرهم سنا، لقب بالكسائي لأنه كان في الإحرام لابسا كِساء.

واشتهر لكل قارئ من هؤلاء السبعة راويان نقلا القراءة، ويهمني من هؤلاء السبعة نافع المدني؛ لأن تفسير ضياء التأويل إنما جاء على قراءته.

وتلميذا نافع اللذان نقلا قراءته هما: مقرئ مصر عثمان بن سعيد ورش(ت 197 هـ)، وربيب نافع وإمام أهل المدينة في القراءة بعده عيسى بن مينا قالون(ت 220 هـ).

وأكثر أهل أفريقيا يقرأون القرآن الكريم بقراءة نافع برواية ورش عنه، وبها قرأ الشيخ عبد الله فودي رحمه الله تعالى، وقد قرأ الشيخ القرآن الكريم على يد والده محمد كما مر في أثناء ترجمته.

ليس من السهل الاهتداء إلى معرفة تاريخ دخول هذه القراءة إلى القارة الأفريقية، ولكن كان من الطبيعي أن تقترن الفتوحات الإسلامية بالعناية بالقرآن الكريم، فكان القادة يحرصون دائما على مصاحبة القراء، وإعداد أماكن القراءة في المساجد والأربطة، ومعلوم أن المرابطين في القرن الحادي عشر بعد الميلاد بقيادة عبد الله بن ياسين هم الذين فتحوا كثيرا من بلاد أفريقيا جنوب الصحراء فلا شك أنهم جلبوا وأحضروا معهم قراء ليعلموا أهل البلاد المفتوحة تلاوة وقراءة كتاب الله([1]).

ولعل من أول الإشارات للقراءات القرآنية في أفريقيا نجدها في الكتب التي ترجمت لعلماء تلك الأنحاء، ككتاب فتح الشكور، ففي ترجمة سيدي أحمد الولي بن أبي بكر المحجوبي الولاتي (ت ١٠٩٥ هـ)، وهو شيخ جماعة من العلماء الأجلاء أمثال الحسن بن أغبدي، وسيدي بن عمر، وعمر بن بابا، يقول عنه صاحب فتح الشكور: " إنه كان ماهرا في القرآن فقيها لغويا، وقاضيا ومدرسا وإماما في ولاتة "([2]).

وسأكتفي في الوريقات الآتية بذكر نموذجين من رواية ورش عن نافع بعضها مما انفرد به نافع دون سائر([3]) القراء، وبعضها شاركه غيره من القراء، وكل هذه النماذج مما فيه كلام في النحو أو الصرف أشار إليه الشيخ عبد الله فودي في تفسيره.

---

(١) محمد المختار ولد أباه ، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ط١، ١٤٢٢ – ٢٠٠١، ص ٣٤٨.

(٢) أبو عبد الله الطالب البرتلي الولاتي(ت ١٢١٩) ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد بن إبراهيم الكتاني ود. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ – ١٩٨١ ، ص ٤١.

(٣) سائر بمعنى باقي، وهذا الغالب في استعمال هذه الكلمة لدى فصحاء العرب، وقد ورد استعمالها بمعنى جميع، ولكنه استعمال قليل.

وقد أشبع الإمام النووي هذه الكلمة بحثا في كتابه تهذيب الأسماء واللغات، فليراجع كلامه ثمة.

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة: ٢١٤

الشاهد في هذه الآية الكريمة هو قوله تعالى: " حتى يقولُ " رفع الفعل "يقولُ "، وقد انفرد نافع برفع الفعل، وكان ظاهر الكلام يقتضي نصبه بأن مضمرة بعد حتى.

قال الشيخ عبد الله: "بالرفع لنافع على حكاية حال ماضية، والنصب للباقيين على إضمار أن، والمعنى على الأول: حتى قال الرسول"([1]).

وذكر ابن مجاهد في السبعة أن نافعا قد انفرد بقراءة الرفع، وقرأ الباقون كلهم بالنصب، ونقل رواية عن الفراء أن الكسائي مكث دهرا يقرأ بالرفع، ثم تركها ورجع إلى قراءة النصب[٢] .

وقد وجّهت قراءة الرفع وهي قراءة مجاهد ونافع وبعض قراء المدينة كما حكى الفراء في معانيه ([٣]) بكون حتى "مع الأفعال قد تكون غير عاملة، كما قد تكون عامل نصب، فتكون غير عاملة لـ "يفعل " في حالتين اثنتين:

الأولى إذا كان الفعل الذي قبل" حتى "والذي بعدها واقعين في الحال .

---

(١) ضياء التأويل ٨١/١.

(٢) ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٠، ص182 .

(٣) يحيى بن زياد الفراء، أبو زكريا (ت ٢٠٧) ، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ، ومحمد علي النجار ، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، القاهرة، بدون تاريخ ، وبدون طبعة، ج1 ، ص 96،97

والثانية إذا كانا واقعين جميعا في الماضي.

ولا تعمل" حتى" النصب في الأفعال إلا ما كان منها مستقبلا، فخرج الماضي والحال، وبقيا على أصلهما مرفوعين لتجردهما من الناصب والجازم. وهو وجه الآية هنا؛ لأن المعنى هو الماضي أي حتى قال الرسول، فرفع الفعل على معنى الماضي.

وقد أجاز سيبويه قراءة الرفع والنصب في باب ما يكون العمل فيه من اثنين، وقال: " قد يجوز أن تقول :سرت حتى يدخلُها زيد .إذا كان أدّاه سيرك، ومثل ذلك قراءة أهل الحجاز:

" وزلزلوا حتى يقولُ الرّسول "([1]) .

كما أجاز ذلك الفراء في معانيه، واستطرد في ذكر أحوال حتى وما سمعه هو وشيخه الكسائي عن العرب من نثر ونظم يثبت هذه اللغة، ومما قاله " وإنما رَفع مجاهد لأنّ " فَعَل "يحسُن في مثله من الكلام؛ كقولك" : زُلزلوا حتى **قال** الرسول...فزعم الكسائيّ أنه سمع العرب تقول: سرنا حتى تطلعُ لنا الشمس بزُبالة، فرفع والفعل للشمس، وسَمِع :إنا لجلوس فما نَشْعُرُ حتى يسقط حَجَر بيننا .رفعا .قال : وأنشدنى الكسائى:

وقد خُضْن الهَجير وعُمْن حتى يفرّجُ ذاك عنهنّ المَسَاءُ

وأنشدَ قول الآخر:

وُننكِر يوم الروع ألوانَ خيلِنا * من الطعن حتى نحسبَ الجَوْن أشقرا

فنصب ها هنا؛ لأنّ الإنكار يتطاول([2]).

كما أجاز الرفعَ المبرّدُ في المقتضب، وذلك على تقدير حكاية الحال الماضية فقال: " فالرفع على قوله :فإذا الرسول في حال قوله .والنصب على معنى إلى أن يقول الرسول([1]).

---

(١) سيبويه، الكتاب، ، ج3 ، ص 25 فما بعدها.

(٢).الفراء، معاني القرآن، ج1 ، ص 97 ،96

وقد شرح مكي هذا الوجه فقال: " من رفع يقول فلأنه " فعل" قد ذهب وانقضى، وإنما الخبر عن الحال التي كان عليها الرسول فيما مضى، فالفعل دال على الحال التي كانوا عليها فيما مضى...فلا سبيل للنصب في هذا المعنى، ولو نصبت لانقلب المعنى وصرت تخبر عن فعلين قد مضيا وذهبا ولست تحكي حالا كان عليها...فتقديره" وزلزلوا حتى قال الرسول "كما تقول سرت حتى أدخُلها أي قد كنت سرت فدخلت فصارت حتى داخلة على جملة وهي لا تعمل في الجمل فارتفع الفعل بعدها ولم تعمل فيه[٢].

ولخص ابن زنجلة في حجته [٣] الوجهين اللذين وجهت بهما قراءة الرفع فقال فأما وجها الرفع: فأحدهما كقولك سرت حتى أدخلها فيكون السير واقعا والدخول في الحال موجودا كأنه قال سرت حتى أنا داخل الساعة وعلى هذا قوله حتى يقول الرسول أي حتى الرسول قائل والوجه الثاني أن يكون الفعل الذي قبل حتى والذي بعدها واقعين جميعا فيقول القائل سرت أمس نحو المدينة حتى أدخلها ويكون السير والدخول وقعا ومضيا كأنه قال سرت أمس فدخلت وعلى هذا أيضا قوله حتى يقول الرسول معناه حتى قال الرسول فرفع الفعل على المعنى لأن حتى وأن لا يعملان في الماضي وإنما يعملان في المستقبل.

---

(١) محمد بن يزيد، أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥) ، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت، ج2 ، ص42 .

(٢) مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، مشكل إعراب القرآن، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ ، ١/ ١٢٦ –١٢٧ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ – ١٩٨٢ ، ص132 .

النموذج الثاني:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأعراف: ٣٢

في هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ خَالِصَةً ﴾بالرفع وهي واحدة من القراءات التي انفرد نافع رحمه الله برواية الرفع فيها عن باقي السبعة قال ابن مجاهد: " فقرأ نافع وحده خالصة رفعا، وقرأ الباقون خالصة نصبا.

وقد بين الشيخ عبد الله فودي وجه الرفع والنصب في هذه الكلمة على سبيل الإجمال فقال: " بالرفع لنافع خبر بعد خبر، وبالنصب لغيره حال ".[١]

هذا ما أجمله الشيخ، وأنا أفصله فأقول:

قد تطرق الطبري لهذين القراءتين فأجازهما معا إلا أنه رجّح رواية الجمهور بالنصب لكثرة ما جاء على نحوها من كلام العرب؛ حيث إنهم ينصبون اللفظ إذا جاء بعد الاسم والصفة على أنه حال فقال: "وأولى القراءتين عندي بالصحة قراءة من قرأ نصبا؛ لإيثار العرب النصب في الفعل إذا تأخر بعد الاسم والصفة، وإن كان الرفع جائزا غير أن ذلك أكثر في كلامهم" [٢].

---

(١) ضياء التأويل ٨/٢.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، ط .2 1405 ، دار الفكر. بيروت، ١٦٥/٨-١٦٦.

أما كون النصب على الحال بعد تمام الكلام فهي كما تقول :المال لزيد خالصا فقد قال ابن خالويه: " والحجة لمن نصب أنه لما تم الكلام دونها نصبها على الحال" [١].

وقد أجاز كثير من العلماء هذه القراءة وإن قدموا قراءة النصب منهم سيبويه الذي قال في الكتاب: " ... ومثل قولك :فيها عبد الله قائمًا :هو لك خالصًا، وهو لك خالصٌ .كأن قولك :هو لك .بمنزلة أهبُه لك، ثم قلت :خالصًا .ومن قال :فيها عبد الله قائم .قال :هو لك خالص؛ فيصير خالص مبنيًا على هو، كما كان قائم مبنيًا على عبد الله وفيها لَغوٌ إلا أنك ذكرت فيها لتبيّن أين القيام .وكذلك لك إنما أردت أن تبيّن لمن الخالصُ .وقد ُقرئ هذا الحرف على وجهين: **هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ** بالرفع والنصب، وبعض العرب يقول :هو لك الجمّاء الغفيرُ يرفع كما يرفع الخالص . والنصبُ أكثر؛ لأن الجمّاء الغفير بمنزلة المصدر فكأنه قال :هو لك ُ خلوصًا .فهذا تمثيلٌ ولا يُتكلم به..." [٢].

والمبرد حيث قال في المقتضب[٣]: "تقول :هذا لك كافيًا، فتنصب الحال، لما في الكلام من معنى الفعل؛ لأن معنى لك معنى تملكه.فإن أردت أن تلغى لك قلت :هذا لك كاف يا فتى، تريد :هذا كاف

---

(١) ابن زنجويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠، ١٥٤/١.

(٢) الكتاب ٨٨/١.

(٣) المقتضب ٣٠٧/٤.

لك، فتجعل كافيًا خبر الابتداء، وتجعل لك ظرفًا للكفاية .والآية تقرأ على وجهين: وخالصة على ما ذكرنا .وتقول :هذا عبد الله قائمًا، فتنصب قائمًا لأن قولك ها للتنبيه فالمعنى: انتبه له قائمًا .وقال الله عز وجل: ﴿ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ هود: ٦٤، ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾هود: ٧٢.

ولقراءة الرفع أيضا وجهان في العربية هما:

الأول : أن" خالصة "خبر لمبتدأ محذوف وهو" وهي لهم "فيكون تقدير الكلام" :وهي لهم خالصة" قال ابن خالويه: " فالحجة لمن قرأه بالرفع أنه أراد" قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيامة"[١].

الثاني: رفعت" خالصة "لأنها خبر بعد خبر وهو قول الزجاج قال ابن زنجلة: " قال الزجاج قوله: "خالصة" خبر بعد خبر كما تقول: زيد عاقل لبيب. فالمعنى: " قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة"[٢].

قال الزمخشري: " وقرئ "خالصة" بالنصب على الحال، وبالرفع على أنها خبر بعد خبر"[٣].

---

(١) الحجة في القراءات السبع ١/٥٤.

(٢) حجة القراءات ص٢٨٢.

(٣) الكشاف ٢/١٠٥.

منهج الشيخ في الاستشهاد بأشعار العرب

للشعر أهمية للمفسر خاصة، يلجأ إليه المفسر ويستعين به لتفسير من غمض من كتاب الله وقد أثر عن عمر[١] وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: الشعر ديوان العرب.

وليس الاستشهاد بالشعر عند المفسرين، ومن سار على سيرهم من قبيل أنهم يجعلونه حجة على أسلوب القرآن، ومعانيه، ومهيمنا.

كلا، وإنما جعلوه – كما يظهر لي – من جملة ما يخدم النص القرآني، ويساعد على شرح غريبه، أو توضيح معناه.

ولئن كان بعض المفسرين قد أسرف في الاستشهاد بأشعار العرب، حتى بلغت المئات، وقاربت أو جاوزت الألف[٢] فإن الاستشهاد بالشعر عند الشيخ عبد الله فودي في تفسيره ضياء التأويل أتى في مواضع قليلة جدا، قد لا تتجاوز الثلاثين، وهذا ينسجم مع ما قصده الشيخ وأراده من جعل تفسيره موسوما بطابع الإيجاز والاختصار.

وقد جاءت هذه الشواهد في تفسير ضياء التأويل إما لبيان لفظ غريب، أو تمييز بين معنى ومعنى آخر، وإما لتوضيح أسلوب من أساليب العربية، ونحو ذلك. وهذه أمثلة مقتضبة من شواهد الشيخ توضح وتجلي المقصود.

---

(١) قال عمر : يا أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم" انظر القرطبي (ت ٦٧١)، تفسير الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤، ١٠/ ٩٩.

(٢) من كتب التفسير المشحونة بالشواهد تفسير الكشاف للزمخشري، وقد ألف محب الدين أفندي كتابا حافلا شرح فيه الشواهد الشعرية في تفسير الكشاف فقط ، أسماه: تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، وهو مطبوع في هامش بعض طبعات الكشاف.

١ - المثال الأول في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ النحل:

٤٧ ، قال الشيخ[١]: روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال : يا أيها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل : (أو يأخذهم على تخوف) فسكت الناس فقال شيخ من بني هذيل : هي لغتنا يا أمير المؤمنين التخوف التنقص، فخرج رجل فقال : يا فلان ما فعل دينك ؟ قال : تخوفته أي تنقصه فرجع فأخبر عمر فقال عمر : أتعرف العرب ذلك في أشعارهم ؟ قال نعم قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكه (طوله) واكتنازه (امتلائه باللحم) :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ [٢]

ثم قال الشيخ[٣]: " وقد جاء إلى عمر أيضا رجل فقال: إن أبي يتخوفني مالي، فقال عمر: الله أكبر أو يأخذهم على تخوف منه. ومنه قول النابغة:

تخوَّفَهم حتى أذل سراتَهُم بطعن ضرار بعد قبح الصفائح[٤]

ولا يكتفي الشيخ بالاستشهاد ببيت الشعر، بل تراه أحيانا بفسر ما غمض وأبهم من مفردات البيت، ومثال ذلك أنه بعد أن أورد بيت أبي كبير الهذلي السابق:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

---

(١) ضياء التأويل ٢/٢٢٧.

(٢) البيت ليس في ديوان الهذليين الذي جمعه ورواه أبو سعيد السكري، فهذا من المستدرك عليه، وكأن الشيخ نقل هذا الكلام من تفسير البيضاوي.

(٣) ضياء التأويل ٢/ ٢٢٧.

(٤) هذا البيت مما لم يرد في ديوان النابغة الذبياني (إذا أطلق النابغة عند العلماء فإنهم يقصد الذبياني) لا في ديوانه برواية الأصمعي ولا برواية الأعلم الشنتمري، ولا برواية ابن السكيت، وهو مما لم يذكره الأستاذ أبو الفضل إبراهيم في الشعر المنسوب الذي جعله ذيلا لديوان النابغة.

قال موضحا معاني مفرداته[١]: التامك هو السنام ، والقرد: هو الذي تمعَّر شعره والنبعة: واحد النبع[٢] شجر السهام والقسي، ينبت في قلة الجبل، والنابت منه في السفح الشريان، وفي الحضيض الشوحط، والسفن محركة[٣]: حجر ينحت به ويلين به السهام، أو كل ما ينحت به.

ويهتم الشيخ بنسبة البيت المستشهد به إلى قائله كما رأيت في البيتين السابقين، فقد نسبهما إلى قائليهما وهما أبو كبير الهذلي، والنابغة الذبياني.

٢ – المثال الثاني من أمثلة استشهاد الشيخ عبد الله فودي بأشعار العرب في قضية نحوية ما ذكره في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾ البقرة: ٢٦٤ أنه ورد إشكال، خلاصته كالآتي: إن الذي اسم موصول مفرد مذكر فالضمير العائد إليه ينبغي أن يكون مفردا مذكرا أيضا، وهذا ما حصل عندما عاد الضمير إليه من الكلمات الآتية: ينفق ، ماله ، ولا يؤمن ، فمثله ، فالضمير في كل هذه الكلمات الأربع مفرد مذكر يعود إلى الاسم الموصول الذي، ولكن الضمير العائد في قوله تعالى : "لا يقدرون" وفي قوله: "مما كسبوا" لم يكن مفردا مذكرا بل كان جمعا مع أنه يعود

---

(١) ضياء التأويل ٢/ ٢٢٧.

(٢) فهو اسم جنس جمعي لأنه فرق بينه وبين واحده بالتاء، كتمر وتمرة.

(٣) قول الشيخ عبد الله فودي محركة، يقصد به أن السين والفاء من كلمة السفن مفتوحتان، والشيخ تابع في هذا الاصطلاح لمجد الدين الفيروزأبادي في كتابه ومعجمه القاموس المحيط، فإنه اصطلح فيه على ضبط الفتحتين المتتاليتين بقوله: محركة. ومثال ذلك في قوله القاموس: (أفنان) جمع فنن محركة هو الغصن، و(الأنغام) جمع نغم محركة ، وهو ترجيع الغناء وترديده.

وهو منهج حسن.

إلى الذي، فأجاب الشيخ عن هذا الإشكال بقوله [١] : "جمع الضمير للذي [٢] ينفق باعتبار المعنى ؛ لأن المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله:

وإنَّ الذي حانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهُمْ هُمُ القَومُ كُلُّ القومِ يا أُمَّ خالِدِ[٣]

فهذان جوابان من الشيخ، أحدهما:

أ- أن المراد من الاسم الموصول الذي الجنس لذا جمع هنا باعتبار المعنى

ب- أو المراد من الذي " الذين"

ولتوضيح هذين الجوابين أقول: اختلفت أقوال المفسرين ومعربي القرآن الكريم في نظم هذه الآية وتقدير الكلام فيها، ولكن الأولى - كما ذكر السمين الحلبي [٤] في تفسير قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ البقرة: ١٧ أن يقال إن "الذي" وقع وصفا لشيء يفهم الجمع، ثم حذف ذلك الموصوف للدلالة عليه، والتقدير: مثلهم كمثل الفريق الذي استوقد ".

وعليه فإن الاسم الموصول في الآية التي نحن بصددها يمكن أن يقال فيه الشيء نفسه، فيقال الذي اسم في محل جر نعت لمحذوف، وتقدير الكلام: لا تبطلوا صدقاتكم إبطالا كإبطال الفريق الذي ينفق رئاء الناس...، وكلمة فريق مفردة لفظا، جمع معنى، فلما جاء الاسم الموصول نعتا له جاز في الضمير العائد إليه وجهان، الأول: مراعاة لفظه؛ لذا أفرد الضمائر في هذه الكلمات : : ينفق ، ماله ، ولا يؤمن ، فمثله.

---

(١) ضياء التأويل ١/ ١٠٦.

(٢) هكذا هي العبارة في ضياء التأويل، ولكن أظن أن ثمة خطأ في هذا التركيب، وأن صواب العبارة هي كما وردت في تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١/ ١٥٨ الذي يقول فيه البيضاوي: " والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى، أن المراد...".

(٣) البيت للأشهب بن رميلة، وهو من شعراء العصر الأموي المغمورين. و(فلج): اسم بلد، ومنه قيل: الطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق فلج؛ وقيل: فلج واد بين البصرة وحمى ضرية. و (حانت دماؤهم): لم يؤخذ لهم بدية ولا قصاص.

انظر هذا البيت في: الكتاب ١٨٧/١، وشرح الكافية الشافية ٢٦١/١.

(٤) الدر المصون ١ / ١٥٦.

والثاني: مراعاة معناه لذا عاد الضمير إليه جمعا بهذا الاعتبار، ولهذا الأسلوب نظائر في العربية ، كما في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ البقرة: ١٧ فقد أفرد الضمير قوله تعالى: "وما حوله " باعتبار اللفظ ، وجمع الضمير في : " بنورهم " و"تركهم" و " لا يبصرون " باعتبار المعنى.

هذا بيان للجواب الأول، أما الجواب الثاني فالشيخ عبد الله فودي متكئ فيه على كلام إمام الصنعة سيبويه في كتابه الكتاب حينما أصل لمثل هذه الحالة فقال : " ولكن حذفوها كما حذفوها من اللذين والذين حيث طال الكلام وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر" [١] .

ويوضحه الأعلم الشنتمري فيقول[٢]: حذف النون من اللذين استخفافاً والدليل على أنهم أرادوا به الجمع قوله دماؤهم، ويجوز أن يكون الذي واحداً ، يؤدي عن الجمع لإبهامه، ويكون الضمير محمولاً على المعنى، فيجمع، كما قال جل وعز: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الزمر: ٣٣ فالجواب الأول عبارة عن تأويل للكلمة، والجواب الثاني حاصله حصول تخفيف وحذف في الكلمة، ولكن من غير تأويل.

---

(١) الكتاب لسيبويه ١/ ١٨٦.

(٢) الشنتمري، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان الأندلسي المعروف بالأعلم، شرح شواهد كتاب سيبويه المسمى تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤، ص١٨٧.

الفصل الثالث

منهج الشيخ عبد الله فودي في بعض قضايا التصريف

حد علم التصريف([1]):

التصريف على ما ذكر المتأخرون أحد علوم الأدب الاثني عشر، وهي علوم يحترز بها عن الخلل في كلام العرب لفظا أو كتابة، منها أصول، وهي العمدة في ذلك الاحتراز، ومنها فروع، أما الأصول فالبحث فيها إما: عن المفردات، من حيث: جواهرها وموادها، فعلم اللغة. أو من حيث: صورها وهيئاتها، فعلم الصرف ، أو من حيث: انتساب بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية ، فعلم الاشتقاق، وإما عن: المركبات على الإطلاق، إما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية ، فعلم النحو، أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى، فعلم المعاني ، أو باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح، فعلم البيان، وإما عن: المركبات الموزونة ، فإما من حيث: وزنها، فعلم العروض، أو من حيث: أواخر أبياتها، فعلم القافية.

وأما الفروع فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة، فعلم الخط، أو يختص بالمنظوم، فالعلم المسمى بقرض الشعر، أو يختص بالمنثور، فعلم إنشاء النثر والخطب، أو لا يختص بشيء منهما وهو علم المحاضرات ومنه التواريخ، وأما البديع جعلوه ذيلا وتابعا لعلمي البلاغة لا قسما برأسه"([2]) .

---

(١) يفرق بعض العلماء بين مصطلحي الصرف والتصريف، فيقول عن علم الصرف إنه هو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة، التى ليست بإعراب ولا بناء، ويقول عن التصريف بأنه هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعان مقصودة، لا تحصل إلا بها، ومن هؤلاء المفرقين العلامة الثاني سعد الدين التفتازاني في شرحه على تصريف العزي لعز الدين الزنجاني، فعلم الصرف عنده غير التصريف.

وبعضهم لا يفرق بين هذين المصطلحين، فكل ما هو صرف عنده هو تصريف أيضا، ويجعل الشيخ أحمد الحملاوي لهما مصطلحا واحدا هو التصريف، إلا أنه يقسم هذا المصطلح إلى قسمين: التصريف بالمعنى العملي، والتصريف بالمعنى العِلْمي.

(٢) هذا التقسيم مستفاد من التقسيم الذي ذكره السيد الشريف في فاتحة شرحه على مفتاح العلوم للسكاكي، وقد نقل كلامه علي القوشجي، انظر: عنقود الزواهر، علاء الدين علي بن محمد القوشجي، تحقيق أحمد عفيفي، دار الوثائق والكتب القومية، مصر، ط١، ٢٠٠١، ص١٦٦.

وحدّ ابن الحاجب التصريف بأنه " علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب " ([1])، والأبواب التي ترتكز عليها أحوال هذه الأبنية : " قد تكون للحاجة كالماضي و المضارع و الأمر و اسم الفاعل و اسم المفعول و الصفة المشبهة و افعل التفضيل و المصدر و اسمي الزمان و المكان و الآلة و المصغر و المنسوب و الجمع و التقاء الساكنين و الابتداء و الوقف و قد تكون للتوسع كالمقصور و الممدود و ذي الزيادة وقد تكون للمجانسة كالإمالة و قد تكون للاستثقال كتخفيف الهمزة و الإعلال و الإبدال و الإدغام و الحذف " ([2]).

هذا هو حد علم التصريف كما اختطه ابن الحاجب في المئة السابعة، وهو حد واضح المعالم، يبدو فيه التصريف علما له أبواب محددة لا لبس فيها ولا غموض.

تنبيهات :

الأول : لم يرتض صاحب التلخيص([3]) جعل البديع تابعا للمعاني والبيان ، بل عده علما مستقلا من علوم العربية، واستصوب بعض الأفاضل هذا لأن علم البديع له موضوع متميز عن موضوع المعاني والبيان بالحيثية المعتبرة في موضوعات العلوم، وله غاية متميزة أيضاً، فجعله علما مستقلا أوجه.

الثاني: لم يعدوا علم الوضع علما مستقلا، لأنه عندهم من مبادئ علم متن اللغة، ولكونه وسيلة لغيره قال الجوهري إنه من توابع علم العربية. ومبدأ الشيء في العرف هو ما يتوقف عليه ذلك الشيء.

إلا أن ذلك لا يمنع كونه علما في نفسه، كما قيل في العلاقة بين المنطق والفلسفة، وممن عده علما أبو سعيد الخادمي في رسالة البسملة.

---

(١) شرح الجاربردي على شافية ابن الحاجب ، ص٨.

(٢) جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المالكي، ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف، المكتبة المكية، تح محمد حسن عثمان، ط ١، ١٩٩٥ ، ص ١٥ -١٦.

(٣) هو الإمام القزويني

الثالث: قال الإمام حسن العطار في حاشيته على المحلي على جمع الجوامع[١] عن عدد علوم العربية: " وبلوغها إلى هذا الحد تسامح في العد كما لا يخفى فإن قرض الشعر من فوائد علم العروض والإنشاء ثمرة مترتبة على معرفة مجموعهما والتاريخ ليس بعلم بل هو نقل محض، والاشتقاق داخل في علم الصرف على ما تحرر"([٢]).

مباحث صرفية في تفسير ضياء التأويل

وظف الشيخ عبد الله فودي ملكته الصرفية في أثناء تفسيره لآيات الذكر الحكيم، وتطرق إلى شذرات من مسائل علم التصريف، فكان يشير تارة إلى نوع الكلمة من المشتقات ، فتجده يقول عن ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ الفاتحة: ١ فيقول عن الرحمن أنها صفة مبالغة، معناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة، وهي صفة تختص بالله، وهي أبلغ من الرحيم([٣]).

ثم يقول عن الرحيم بأنها أبلغ من الراحم، لأن راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، والرحيم لمن كثر من ذلك، والرحمن النهاية في الرحمة. ([٤])

---

(١) جمع الجوامع كتاب عظيم في أصول الفقه لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، جمعه من زهاء مائة مصنف مشتمل على زبدة ما في شرحيه على مختصر ابن الحاجب والمنهاج مع زيادات وبلاغة في الاختصار، ورتبه على مقدمات وسبعة كتب، وله شروح كثيرة أحسنها : شرح المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفى سنة ٨٦٤ ، وهو شرح مفيد ممزوج في غاية التحرير والتنقيح، وعلى شرح المحلي حواش كثيرة مثل حاشية العطار وحاشية البناني.

وكل هذه الشروح والحواشي مطبوعة ومتداولة. انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ٥٩٦/١.

(٢) حاشية العطار على شرح المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، بدون طبعة، بدون تاريخ ، ٢/ ٤٢٢.

(٣) ضياء التأويل ٨/١.

(٤) نفس المصدر السابق.

ولي وقفات تتعلق بكلام الشيخ عن هاتين الكلمتين (الرحمن والرحيم)، فقول الشيخ أن الرحمن صفة مبالغة فيه حذف، وأصل الكلام: الرحمن صفة مشبهة للمبالغة، وهذا يحتاج إلى بيان:

نص الصرفيون على أن القياس في الصفة المشبهة إذا كان فعلها من الباب الرابع (١) أن تبنى على وزن فَعِل، فنقول: فَرِحَ يفْرَحُ فهو فَرِحٌ، إلا أنه قد يعدل عن بناء الصفة المشبهة لأفعال الباب الرابع على وزن فَعِل؛ لأغراض منها الدلالة على المبالغة والامتلاء، يقول ابن الحاجب: " الصفة المشبهة من نحو فَرِحَ عَلَى فَرِح غَالِباً... وقياسُ ما كان من الامتلاء كالسُّكْر والرِّيِّ...والشَّبَع، ومن حرارة الباطن كالْعَطَش وَالْجُوع وَالْغَضَب واللَّهَف وَالثَّكَل أن يكون على فَعْلاَن..." (٢).

فعلم من هذا أن وزن فعلان في بناء الصفة المشبهة يعدل إليه لغرض كالدلالة على الامتلاء والمبالغة، يقول الزجاج(٣) : " الرحمن اسم لله خاصة ، لا يقال لغيره رحمن، ومعناه المبالغ في الرحمة ، وفعلان من بناء المبالغة ، تقول للشديد الامتلاء : ملآن ، وللشديد الشبع : شبعان..." (٤).

ويقول الطاهر ابن عاشور(٥): " والذي ذهب إليه صاحب الكشاف وكثير من المحققين أن الرحمان صفة مشبهة كغضبان وبذلك مثله في الكشاف" (١).

---

(١) أبواب الفعل الثلاثي المجرد ستة: الأول: فَعَل يَفْعُل، كَنَصَرَ يَنْصُر، الباب الثانى: فَعَل يَفْعِل، كضَرَبَ يَضْرِب، الباب الثالث: فَعَل يَفْعَل، كفتح يفتَح، الباب الرابع: فَعِل يَفْعَل، كفرِحَ يفرَح، الباب الخامس: فَعُل يَفْعُلُ، كشَرُفَ يَشْرُفُ، الباب السادس: فَعِل يَفْعِل، كحسِب يحسِب.

(٢) الشافية لابن الحاجب ص ١٤٤.

(٣) ابراهيم بن السري بن سهل، أبو اسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة. ولد سنة ٢٤١ ومات في بغداد سنة ٣١١، كان في شبابه يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، من كتبه (معاني القرآن) و (الاشتقاق) و (خلق الانسان) و (الامالي) في الادب واللغة، و (فعلت وأفعلت) في تصريف الالفاظ و (المثلث). انظر الأعلام للزركلي ٤٠/١.

(٤) أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١) معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ – ١٩٨٨، ٤٣/١ .

(٥) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة.

تنبيه في تعريف الصفة المشبهة

يكاد الصرفيون[٢] يجمعون على أن الصفة المشبهة هي : " ما اشتقّ من فعل لازم لمن قام به على معنى الثّبوت"[٣].

وقد قرأت بحثا لأستاذنا الدكتور فيصل صفا[٤] موسوما بـ " الصفة المشبهة قراءة جديدة في البنية الشكلية والدلالية لبعض الأوصاف المشتقة " [١]، إلا أني رأيت خلطا وعدم دقة من الدكتور

له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، ، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. الأعلام للزركلي ٥٤/٧

(١) محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣) ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤ ، ١٧٠/١.

وانظر الكشاف للزمخشري أيضا ٦/١.

(٢) ثمة ملحظ دقيق ينبغي مراعاته في هذا المقام ، وهو التفرقة بين تناول النحويين وتناول الصرفيين للصفة المشبهة، وتجلية الأمر أن الصرفيين لا يفرقون بين ثلاثة أمور (اسم الفاعل وصيغة المبالغة والصفة المشبهة) فهي جميعا عندهم يقال لها: "اسم فاعل" فاسم الفاعل عندهم مشتق من الفعل مطلقا سواء أكان بمعنى الحدوث أو بمعنى مبالغة الحدوث ، أو بمعنى الثبوت.

يقول الزجاج في كتابه "معاني القرآن وإعرابه" ٤٣/١ عن لفظ الرحيم: " والرحيم اسم الفاعل من رَحِمَ فهو رحيم". انتهى. فهذا المسلك الذي سلكه الزجاج هنا هو مسلك الصرفيين في عدم التفرقة بين هذي الثلاثة.

وأما النحويون فيفرقون بين هذه الماهيات الثلاثة، فاسم الفاعل عندهم ماهية مختلفة عن الصفة المشبهة ، والصفة المشبهة ماهية مختلفة عن صيغ المبالغة، فاسم الفاعل عندهم اسم مشتق من الفعل لذات قام بها الفعل على وجه الحدوث ، والصفة المشبهة عندهم اسم مشتق من الفعل لذات قام بها الفعل على وجه الثبوت ، واسم المبالغة عندهم اسم مشتق من الفعل لذات قام بها الفعل على وجه الحدوث والمبالغة.

لمزيد من الأنظار في هذه المسألة انظر كلام الشيخ عبد الحق بن عبد المنان الجاوي في كتابه تدريج الأداني إلى قراءة شرح السعد على تصريف الزنجاني ص ٩٥.

(٣) انظر مثلا ما أورده ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (توفي: ٦٤٦ هـ) ، الكافية في علم النحو ، المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م، ص ٤١.

(٤) الدكتور فيصل صفا من أساتذتنا المميزين وقد تلقيت العلم على يديه في جامعة اليرموك، وكان مشهودا له بالعلم وحسن التعامل.

الفاضل في أثناء تكلمه عن مصطلح " الثبوت " الوارد في تعريف الصفة المشبهة عند جمهرة النحويين، وكأني بالدكتور اختلط عليه مصطلحان " الثبوت " و" الثبات " فجعلهما شيئا واحد، وماهية متحدة، مع أنهما أمران متخالفان، بينهما غاية التباعد.

يقول الدكتور فيصل: " لعل الصرفيين يلحظون ، وهم يشيرون إلى معنى الثبوت ، تلك الصفات المشبهة التي يغلب بطبيعتها أن تكون ثابتة" [٢].

ويقول أيضا : " أما المحدثون فلم يتردد بعضهم في الإشارة إلى نسبية الثبوت، فقد نبه الشيخ الحملاوي على ذلك حين قسم الصفات الواردة في باب فرح من حيث الثبات والزوال فمنها ما يحصل ويسرع زواله، كالفرح والطرب. ومنها ما هو موضوع على البقاء والثبوت، وهو دائر بين الألوان، والعيوب، والحلى، كالحمرة، والسمرة والحمق والعمى والغيد والهيف، ومنها ما هو فى أمور تحصل وتزول لكنها بطيئة الزوال، كالرى والعطش، والجوع والشبع"[٣].

وواضح الخلط بين الثبوت والثبات عند الدكتور الفاضل، ولكن في حقيقة الأمر فإن الثبوت مغاير للثبات، فالثبوت كما قال العلامة محمد بن عرفة الدسوقي[٤] هو " تحقق المحمول للموضوع "[٥] أو بعبارة أخرى: " اتصاف الموضوع بالمحمول".

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (وهي مجلة محكمة) ، رقم العدد ٥١، بتاريخ ١ ديسمبر سنة ١٩٩٦ ميلادية.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، رقم العدد ٥١، بتاريخ ١ ديسمبر سنة ١٩٩٦ ميلادية، ص ٦٨.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، رقم العدد ٥١، بتاريخ ١ ديسمبر سنة ١٩٩٦ ميلادية، ص ٧٠.

(٤) محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي: من علماء العربية. من أهل دسوق (بمصر) تعلم وأقام وتوفي بالقاهرة. وكان من المدرسين في الازهر. له كتب، منها (الحدود الفقهية) في فقه الامام مالك، و (حاشية على مغني اللبيب) مجلدان، و (حاشية على السعد التفتازاني) مجلدان، و (حاشية على الشرح الكبير على مختصر خليل) فقه، و (حاشية على شرح السنوسي لمقدمته أم البراهين) ، توفي عام ١٢٣٠ هـ.
الأعلام لخير الدين الزركلي ١٧/٦.

(٥) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني ٢٩/٢.
والمراد بالموضوع هو المسند إليه سواء كان مبتدأ أو فاعلا أو نائب فاعل، والمقصود بالمحمول هو المسند سواء كان خبرا أو فعلا. والموضوع والمحمول اصطلاح أهل المنطق، والمسند إليه والمسند اصطلاح أهل العربية، وقد يستعمل هذا في ذاك، ولا ضير.

فلا يفهم مثلا من كلمة حسنٌ (صفة مشبهة لا علم) إلا ذات تحقق لها الحسن واتصفت بالحسن، هذا هو المراد بالثبوت.

ثم إن هذا الثبوت قد يستمر ويدوم ، وهذا الاستمرار هو ما يطلق عليه الثبات والدوام ، يقول محمد الدسوقي : " يلزم من الدوام الثبوت ولا عكس " [١]. يعني أنه كلما وجد الدوام والثبات وجد الثبوت، وليس كلما وجد الثبوت وجد الدوام والثبات.

وهذا الإمام رضي الدين الاستراباذي في شرحه على الكافية في النحو لابن الحاجب يشير إلى التفرقة بين الثبوت والثبات ويبين أن الصفة المشبهة إنما هي في أصل وضعها موضوعة للدلالة على الثبوت: " والذي أرى: أن الصفة المشبهة، كما أنها ليست موضوعة للحدوث في زمان، ليست، أيضا، موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة... فليس معنى (حسن) في الوضع إلا ذو حسن سواء كان في بعض الأزمنة أو في جميع الأزمنة..." [٢].

وعلى هذه التفرقة بين الثبوت والثبات يمكننا فهم لماذا كيف تكون بعض الصفة مستمرة دائمة وبعضها تزول، ويمكننا فهم التقسيم الذي ذكره الشيخ أحمد الحملاوي حينما قال: "... فمنها ما يحصل ويسرع زواله، كالفرح والطرب. ومنها ما هو موضوع على البقاء والثبوت، وهو دائر بين الألوان،

ففي قولنا: زيد قائم أو قام زيد، تحقق القيام لزيد هو ما يعرف بالثبوت.

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني ٢٩/٢.

(٢) شرح رضي الدين الأستراياذي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر ، طرابلس، طبيبا ، دت، ٤٣١/٣.

وهذه عبارة الرضي بتمامها : " والذي أرى: أن الصفة المشبهة، كما أنها ليست موضوعة للحدوث في زمان، ليست، أيضا، موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة، لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة ولا دليل فيها عليهما، فليس معنى (حسن) في الوضع إلا ذو حسن سواء كان في بعض الأزمنة أو في جميع الأزمنة، ولا دليل في اللفظ على أحد القيدين، فهو حقيقة في اقدر المشترك بينهما، وهو الاتصاف بالحسن، لكن لما أطلق ذلك، ولم يكن بعض الأزمنة أولى من بعض، ولم يجز نفيه في جميع الأزمنة، لأنك حكمت بثبوته فلا بد من وقوعه في زمان، كان الظاهر ثبوته في جميع الأزمنة إلى أن تقوم قرينة على تخصيصه ببعضها، كما تقول: كان هذا حسنا فقبح أو: سيصير حسنا، أو: هو الآن حسن فقط، فظهوره في الاستمرار ليس وضعيا، على ما ذكرنا، بل بدليل العقل.

والعيوب، والحلى، كالحمرة، والسمرة والحمق والعمى والغيد والهيف، ومنها ما هو فى أمور تحصل وتزول لكنها بطيئة الزوال، كالرى والعطش، والجوع والشبع" [١].

ولكن الدكتور الفاضل لما خلط بين الثبوت والثبات خرج بنتيجة مفادها أن " الثبوت إذا بمعانيه المختلفة (وهي الثبوت في الحال، والثبوت على الدوام، والثبوت النسبي) مسألة خلافية كما هو واضح. الثبوت لا يعد بالنتيجة ضابطا مناسبا لطبيعة هذا النوع من الصفات " [٢].

فأقول بل الثبوت يعد ضابطا ممتازا وفيصلا حاسما للتفرقة بين اسم الفاعل والصفة المشبهة إن مايزنا بين الثبوت والثبات.

نعود إلى تطبيق الشيخ عبد الله فودي في تفسيره ضياء التأويل، فمن أمثلة ذلك ما ذكره في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ مريم: ٥٨ فبين الشيخ أن كلمة بكيا أصلها: " بكوي قلبت الواو ياء، والضمة كسرة " [٣] .

وهنا طبق الشيخ بعض قواعد علم الصرف، وكان مختصرا ، فلم يذكر نصوص تلك القواعد، وأنا أفصل ما اختصره وأجمله الشيخ فأقول: اختلف المفسرون في كلمة " بكيا " هنا على قولين:

١- أنها جمع مكسر لباكٍ

٢- أنها مصدر للفعل بكى[٤]

وعلى القولين هم مجمعون على أن وزن هذه الكلمة سواء كانت جمعا أو مصدرا هو فُعُوْلٌ، وأصلها بُـكُـوْيٌ، والقاعدة الصرفية تقول: إن الواو والياء إذا اجتمعتا في كلمة واحدة والأولى منهما ساكنة سواء كانت الواو أو الياء تقلب الواو ياء وتدغم الياء في الياء [١].

---

(١) شذا العرف في فن الصرف ص ٦٥.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، رقم العدد ٥١، بتاريخ ١ ديسمبر سنة ١٩٩٦ ميلادية، ص ٧٠.

(٣) ضياء التأويل ٣/ ٣٥.

(٤) أحمد محمد الخراط، معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ -١٩٨٩، ص ٥١.

وبعد تطبيق تلك القاعدة الصرفية أصبحت الكلمة : بُـكُـيْيٌ ثم بُـكُـيٌّ.

وهنا تستثقل ضمة الكاف التي تليها ياء فتقلب تلك الضمة إلى كسرة للتحفيف، ولتسلم الياء من القلب[٢]، فتصبح الكلمة : بُـكِـيّ[٣].

ومن اختيارات الشيخ عبد الله فودي الصرفية في تفسيره ضياء التأويل أنه اختار أن كلمة بغيا في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ مريم: ٢٠ على وزن فعول، وليست على وزن فعيل، ولم يكتف الشيخ بمجرد الاختيار، بل أتبعه بتعليل موافق لقواعد الصرف، فقال : " لو كان فعيلا لقيل بغية " [٤].

ولا بد من بيان لهذا: افترق العلماء إلى مسلكين في تناولهم لكلمة " بغيا ":

---

(١) انظر شرح سعد الدين التفتازاني على تصريف العزي ص ١٥٢.

وقد ذكر الإمام التفتازاني شروطا لتطبيق هذه القاعدة ، هي:

١- يجب في الواو إذا كانت أولى أن لا تكون بدلا من حرف آخر ليحترز به من نحو سُوْيِرَ...

٢- أن يكونا في كلمة واحدة أو ما هو في حكمهما كـ مسلميَّ، والأصل: مسلموي. ليحترز به عما إذا كانتا في كلمتين مستقلتين نحو: يغزو يوما ، ويقضي وطرا.

٣- أن لا يكونا في صيغة أفْعَل، نحو: أيوم.

٤- أن لا يكونا في الأعلام نحو : حيْوة

٥- أن لا يكون الياء إذا كانت أولى بدلا من حرف آخر، ليحترز من نحو ديوان، والأصل: دِوْوَان، فإن الواو لا تقلب في مثل هذه الصورة ياء.

٦- يجب أن لا تكون الياء للتصغير إذا لم تكن الواو طرفا، فأما إذا كان طرفا فإنه يجب قلبه كما في عصي ودلي، حتى لا ينتقض بنحو أُسَيْود وجُدَيول ، فإنه لا يجب القلب ، بل يجوز.

(٢) أحمد محمد الخراط، معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، ص ٥٢.

(٣) للمحدثين في علم الأصوات Phonetics وعلم الصرف Morphology تحليل مختلف لما أورده القدماء في تحليل هذه الكلمة وأمثالها، انظر مثلا تحليل الطيب البكوش في كتابه " التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث " مطبعة جمهورية تونس، المطبعة العربية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢، ص ١٦٧ لتحول الواو إلى ياء في كلمة مرموي لتصبح مرمي.

(٤) ضياء التأويل ٣/ ٢٩.

١- فقد ذهب الأخفش[١] إلى أنها على وزن فعيل، مثل قولنا: " مِلْحَفَةٌ جديدٌ "[٢] انتهى.

فليس فيه اجتماع الواو والياء، وإنما فيه إدغام الياء الساكنة بالياء المتحركة.

وقد اعترض بأنها لو كانت على وزن فعيل لوجب أن تلحقها تاء التأنيث في آخرها، والقاعدة الصرفية [٣] تقول إن وزن فعيل إذا كانت بمعنى اسم الفاعل – وفعيل هنا كذلك – فلا يستوي فيه المذكر والمؤنث ، بل لا بد من التفرقة بينهما فأجاب بأنه لم تلحقها التاء لأنها من الصفات المختصة بالإناث كحائض، أو أنها للمبالغة ، أو أنها على النسب كطالق.

وهذا الجواب ليس بسديد إذ أقل ما يقال في ردها إن بغي ليست مختصة بالإناث ، بل تطلق على الذكور أيضا.

وأما تمثيله بقول العرب ملحفة جديد ، فغير سديد أيضا ، لأن جديد في هذا القول بمعنى مقطوعة ، فهي اسم مفعول لا اسم فاعل.

٢- وذهب الجمهور إلى أن هذه الكلمة على وزن فَـعُول، وهو من الأوزان التي يستوي فيها المذكر والمؤنث، وأصلها : بَـغُوْي، فاجتمعت الواو والياء في كلمة واحدة، وسبقت الأولى بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء في الياء ، فصارت الكلمة : بَـغُيّ ، ثم كسرت الغين لمناسبة الياء، ولتصح الياء فلا تقلب واوا [٤].

---

(١) هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه، توفي في ٢١٥هـ، وصنف كتبا، منها (تفسير معاني القرآن) و (شرح أبيات المعاني) و (الاشتقاق) و (معاني الشعر) و (كتاب الملوك) و (القوافي). وزاد في العروض بحر (الخبب أو المتدارك) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر. الأعلام ١٠١/٣.

(٢) الأخفش الأوسط (ت ٢١٥) ، معاني القرآن، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١، ١٤١١ -١٩٩٠، ٤٣٨/٢.

(٣) راجع هذه القاعدة في شرح التفتازاني على تصريف العزي ص ١٥٥.

(٤) راجع الممتع في التصريف ص٣٤٩.

٣- لابن جني رأي غريب في هذه الكلمة نقلها جار الله الزمخشري في كشافه، يقول الزمخشري: "وقال ابن جني في كتاب التمام[١] : هي فعيل ، ولو كانت فعولاً لقيل : «بغوّ» كما قيل : فلان نهوّ عن المنكر" ([٢]).

وهذا القول عجيب من مثل الإمام ابن جني ، ولعله سهو منه لأن قوله: ولو كانت فعولاً لقيل : "بغوّ " غير مستقيم بلا خفاء ، لأن الكلمة من ذوات الياء، فيقال: بغى يبغي، فكيف تكون الصفة المشبهة منها من ذوات الواو.

وأما القياس بقولهم : فلان نهو عن المنكر ، فلا يستقيم ، لأنها كلمة شاذة [٣]، والشاذ يحفظ ولا يقاس عليه، كما هو معلوم.

والأعجب منه أن الزمخشري على جلالة قدره في علوم اللسان نقل هذا القول المغرب عن أبي الفتح ابن جني ، ولم يعقب عليه بشيء.

---

(١) تمام اسمه: التمام في تفسير أشعار هذيل ، وهو مطبوع في العراق بتحقيق نخبة من الأساتذة العراقيين منهم أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، وغيرهما.

(٢) الكشاف ١٠/٣.

(٣) حكم الإمام سعد الدين التفتازاني بشذوذ هذه الكلمة في شرحه على تصريف عز الدين الزنجاني ص ١٥٥ ، وسبقه الرضي الاستراباذي في شرح الشافية ٣ /١٤٢ بالحكم على الكلمة بمخالفة القياس.

الفصل الرابع

النحو وعلم الكلام في تفسير ضياء التأويل

علم الكلام كما يقول ابن خلدون هو: " علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة".

ويقول عضد الدين الإيجي إن علم الكلام هو : "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه".

ومن خلال هذين التعريفين يتضح لنا الشكل الذى يتخذه علم الكلام هو الشكل التعليمى والشكل الدفاعى ، ويقتضى الدفاع والدفع التسلح بالحجج المختلفة ، وتلك الحجج تعتمد على العقل كما فى تعريف ابن خلدون ، وكما وتعتمد على النقل كما فى تعريف الإيجى لأن الإثبات يحتاج الى النقل عن صاحب الشرع ، ومن هذا يتضح أن المنهج العقلى والمنهج النقلى لصيقان بعلم الكلام فهو لا يستغنى عنهما ، لأنه لا يقوم بغيرهما ، ومن هنا نستطيع أن نجعل العقل والنقل المنهجان الأساسيان فى علم الكلام ، ثم يتفرع عنهما أويلحق بهما مناهج أخرى تابعة.

تعرض الشيخ عبد الله فودي في تفسيره إلى بعض المباحث الكلامية التي تعضد عقائد أهل السنة والجماعة، وقد اخترت مبحثا من مباحث علم الكلام له ارتباط بعلم النحو من تفسير ضياء التأويل.

نموذج من علاقة النحو بعلم الكلام:

الباء حرف جر، له خمسة عشر معنى، منها أن تكون الباء للسببية وللمقابلة أما السببية فهي الباء على سبب الفعل، ويعبر عنها بالتعليل، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾

البقرة: ٥٤ ، وقوله عز وجل: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾العنكبوت: ٤٠ وأما المقابلة والتعويض فهي الباء

الداخلة على الأعواض، وهي تدخل تارة على الثمن نحو: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ يوسف: ٢٠ ، وتارة على المثمن نحو: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ البقرة: ٤١ ، ونحو "اشتريته بألف"، و "هذا بذاك" [١].

ومن المسائل العقدية الخلافية بين المعتزلة وأهل السنة نظرية الاستحقاق؛ فالمعتزلة - والزيدية أتباعهم - القائلون بالوعد والوعيد وبالتحسين والتقبيح العقليين ويكون العبد فاعلا مختارا أوجبوا على الله تعالى إثابة الطائع، وقبول توبة التائبين، كما أوجبوا عليه تعالى تعذيب العاصي، وعليه فطاعة المطيعين هي علة استحقاقهم ثواب الله، وزلات العصاة هي علة استحقاقهم عقابه [٢] وقد وافقت الإمامية المعتزلة في وجوب الوعد، لا في وجوب الوعيد، فإن الأصل الثالث للشيعة الإمامية وهو القول بالإمامة وما يتفرع عليه من شفاعة الأئمة في المذنبين يعارض أصل المعتزلة في وجوب الوعيد [٣] . وقد خالف جمهور المسلمين - أهل الحديث والأشاعرة والماتريدية والإباضية - المعتزلة في هذه المسألة، حيث لم ير الجمهور أن الثواب استحقاق يستحقه العبد من خالقه، عن إيجاب على الله تعالى بحيث يثيبنا ولا اختيار له في الإثابة، إذ الثواب ليس بحق محتوم، ولا جزاء مجزوم، وإنما هو بمحض فضل الله وإنعامه، والعقاب لا يجب أيضا عليه تعالى، والواقع منه هو عدل من الله. فالله تعالى لا يجب عليه شيء، إذ الخلق خلقه، والملك ملكه. ولولا رحمته لما استحق أحد دخول الجنة. ذلك لأن العبد وإن بلغ الغاية في

---

(١) ابن هشام ، مغني اللبيب ١٠٤/١، الكفوي ، الكليات ص٢٢٨، الصبان ، محمد بن علي ،حاشية الصبان على الأشموني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٧، ٢٢٠/٢.

(٢) الأسدآبادي ، عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٨٨، ٦١٣،١٣٥.

(٣) انظر، الطوسي ، نصير الدين محمد بن محمد ، تلخيص المحصل، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص ٣٤١-٣٤٣.

الاستقامة فإن أفعاله لا تفي بشكر بعض نعم الله تعالى عليه، بله استحقاقه الثواب بعمله وحده [١] . وثمة مذهب الجبرية الذين أنكروا أن تكون الأعمال سببا في دخول الجنة [٢].

فقد تمسك المعتزلة بمثل قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ النحل: ٣٢ ، وقوله تعالى:﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ٤٣ إثباتا للجزاء على العمل. وقطعوا بأن باء {بِمَا} هي باء السببية، فمعنى ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ بسبب أعمالكم لا بالتفضل[٣] . وهذا التأويل مؤكد لما ذهبوا إليه من أن جزاء العمل مستحق على الله تعالى وواجب عليه للعباد، بناء على أصلهم في الوعد والوعيد من أن كل ما وعد الله تعالى به من الثواب لمن أطاعه، وتوعده من العقاب لمن عصاه، فسيفعله الله لا محالة، وبناء على هذا ففعل الطاعة سبب لاستحقاق الثواب، ولأجله أكد المعتزلة أن باء الآيات السابقة هي باء السببية [٤] .

ويرى ابن الوزير - في معرض عدم تجويزه على الله تعالى تعذيب الميت ببكاء أهله عليه من غير حكمة ولا ذنب ولا عوض - بأن الباء في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ النحل: ٣٢ باء السبب لا باء الثمن والقيمة، إثباتا لاستحقاق الميت العذاب على ذنوبه [٥] .

---

(١) الجويني، عبد الملك بن عبد الله، الإرشاد إلى قواطع الأدلة ، تحقيق أسعد تميم ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦ ، ص٣٢١.الباجوري، إبراهيم بن محمد، شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٨٣، ص ١٠٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تعليق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية ، القاهرة، ٣٥٨/١١.

(٣) انظر الكشاف ١٠١/٢.

(٤) انظر الأصول الخمسة ص ٧٠.

(٥) ابن الوزير ، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢، ٢٨/٦.

وقد خالف جماهير العلماء المعتزلة في تأويلهم الباء بأنها باء السببية على المعنى الكلامي الذي يرمي إليه المعتزلة من إيجاب الجزاء على الله عز وجل حيث حكمت طائفة منهم بأن هذه الباء ليست باء السببية، وإنما هي باء المقابلة والمعارضة والعوض والثمن[١] . في حين قالت طائفة بأن هذه الباء للسبب، ولكنه للسبب المجازي والأعمال أمارة عليها، فإنه لما كانت الأعمال الصالحة لا تنال إلا بتوفيق الله ورحمته، ولا يترتب عليها دخول الجنة إلا بقبول الله لها، كان دخول الجنة في الحقيقة برحمته وتوفيقه وقبوله تعالى، لا بذات العمل. فكون العمل سببا إنما هو بمحض فضل الله تعالى[٢]. يقول الرازي أحد القائلين بالسبب المجازي: تعلق من قال: العمل يوجب الجزاء بهذه الآية، فإن ((الباء)) في قوله: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تدل على العلية، وذلك يدل على أن العمل يوجب هذا الجزاء، وجوابنا أنه

علة للجزاء لكن بسبب أن الشرع جعله علة له، لا لأجل أنه لذاته موجب لذلك الجزاء، والدليل عليه أن نعم الله على العبد لا نهاية لها، فإذا أتى العبد بشيء من الطاعات وقعت هذه الطاعات في مقابلة تلك النعم السالفة، فيمتنع أن تصير موجبة للثواب المتأخر[٣] .

والحق أنه ثمة اشتباه وتعارض ظاهري بين قوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

النحل: ٣٢ ، وبين قوله عليه الصلاة والسلام: " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله" [٤]. فقد أثبتت الآيتان دخول الجنة بالأعمال، في حين نفى الحديث دخولها بالأعمال. وقد سلك العلماء في حل ذلك الاشتباه مسالك عدة.

---

(١) مغني اللبيب ١٠٤/١.

(٢) انظر البحر المحيط ٥٥/٥.

(٣) فخر الدين الرازي ، التفسيرالكبير ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د ط، دت ، ٢٤٤/٥.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا ، دار البغا، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤، حديث رقم ٦٤٦٧.

فقد رأى ابن هشام الأنصاري أن لا تعارض بين الآية والحديث، لاختلاف محملي الباءين جمعا بين الأدلة، فالباء في ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ هي باء المقابلة والمعاوضة والثمن، حيث يكون أحد العوضين مقابلا للآخر، وليست باء السببية كما قالت المعتزلة، وكما قال الجميع في قوله عليه السلام: ((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله))، لأن المعطي بعوض قد يعطي مجانا، وأما المسبب فلا يوجد بدون السبب [١] .

وقد جمعت طائفة بين الآية والحديث بما محصله أن تحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة برحمة الله وفضله، كما قال تعالى: ﴿ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ ﴾ النساء: ١٧٥ ، وكما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم [٢] .

وقال القاضي عياض: " طريق الجمع أن الحديث فسر ما أجمل في الآية، فمن رحمة الله و توفيقه للعمل وهدايته للطاعة، وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله، وإنما هو بفضل الله وبرحمته " [٣].

وقد جمع ابن حجر بين الآية والحديث جمعا حسنا، وذلك بحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا. وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ من العمل المقبول، ولا يضر بعد هذا أن تكون الباء للمصاحبة

---

(١) انظر مغني اللبيب ١٠٤/١،

(٢) الترمذي ، محمد بن سورة ، جامع الترمذي، تحقيق مصطفى البغا ، دار البغا، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤، حديث رقم ٢٥٤٩.

(٣) فتح الباري ٣٥٧/١١.

أو للإلصاق أو المقابلة، ولا يلزم من ذلك أن تكون الباء سببية [١]. وقريب من جمع ابن حجر ما ذهب إليه النووي من أن معنى ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال، والهداية للإخلاص فيها، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله. فيصبح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بسبب الأعمال، وهي من الرحمة.

والملاحظ مما سبق أن: تأويل المعتزلة القاطع بأن الباء باء السببية تأويل متفق مع أصلهم في الوعد والوعيد وأن الجزاء إنما هو بالاستحقاق، لا بالتفضل والمنة من الله تعالى، كما يعتقده مخالفوهم وهم جمهور العلماء.

والحق بأنه لا يبعد - بل هو الراجح - أن تكون الباء في آية ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ وأمثالها للسبب، ولكن من غير تأثر بمقررات علم الكلام، فلو اكتفينا بإثبات مفهوم السببية في الباء وغيرها كما هو في اللغة العربية الموروثة الموصوفة لجاز هذا. فحسبنا أن ندرك أن مفهوم السببية اللغوية لا الكلامية مناسب لأفهام الناس وما تعارفوا عليه من ترتيب الأشياء والأحكام، فالله سبحانه يَسَّرَ هذا القرآن لنفهمه، ونعقله، ونتدبره، وفق ما تستوعبه ألبابنا، ووفق اللغة التي نستقبل بها الفكر ونترجمه.

وهذا ما اختاره الشيخ عبد الله فودي تفسيره [٢] لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ إذ رأى بأن الباء فيها للسببية على الوجه الذي بينته.

---

(١) فتح الباري ٣٥٨/١١.

(٢) ضياء التأويل ٢ / ٤٧.

ومن مسائل علم الكلام المرتبطة بالنحو في تفسير ضياء التأويل ما أورده الشيخ في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨.

فقد نفى الشيخ [١] تعّلق الجار في " لمن" بالفعلين :لا يغفر، ويغفر، وجعل من عّلق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الأول عبارة عمن لم يتب، والثاني عمن تاب، فقد ضل سواء الصواب.

وهو بنفي هذا التعّلق يرد عقائد خصومه ويثبت عقائده، والخصم هنا هو الزمخشري الذي ينطق بعقائد المعتزلة.

والزمخشري قد علق الجار " لمن" بالفعلين، فصار المعنى عنده :إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك، على أن المراد بالأول من لم يتب، وبالثاني من تاب [٢].

فقطّع الآية وأنزلها على وفق معتقده، إذ تقول المعتزلة :إذا خرج العبد من الدنيا من غير توبة عن كبيرة ارتكبها، استحق الخلود في النار، ولكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وهو بهذا التعليق وتقدير التوبة، يكون قد أحال المغفرة مع نفي التوبة.

---

(١) ضياء التأويل ١/ ١٨٦.

(٢) الكشاف ٢٤٠/١.

الفصل الخامس

اختيارات الشيخ عبد الله فودي النحوية

النحو والمعنى لدى الشيخ عبد الله فودي

إن الشيخ عبد الله فودي قد وضع قاعدة – وإن لم يصرح بها - سار عليها في تفسيره فلم يبتعد عنها ألا وهي: الموازنة بين الصناعة النحوية و المعنى، بمعنى أنه كان يحرص كل الحرص على أن يؤكد أن الإعراب مرتبط بصحة المعنى أو فساده من جهة و مرتبط بتوافقه و الصناعة النحوية من جهة أخرى.

وأورد هنا نماذج تدلل على ما أشرت إليه.

فمن ذلك: فساد أن يكون قوله تعالى (فإنه نزله) جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ البقرة: ٩٧ يرى الشيخ [١] أن جواب جواب الشرط محذوف تقديره: أ فليمت غيظا و نحوه: و قوله سبحانه: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ دليل الجواب، ولا يستقيم أن يكون هو الجواب.

وقد أشار بين السمين الحلبي في تفسيره الدر المصون[٢]، السبب المانع لاعتبار قوله تعالى ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ هو الجواب من وجهين:

---

[١] ضياء التأويل ٤٣/١.

[٢] الدر المصون ٢/ ١٧.

أحدهما: من جهة المعنى ؛ لأن فعل التنزيل متحقق الوقوع و الجواب لا يكون إلا مستقبلا [١] أي: أن الجواب لابد أن يكون مسببا عن الشرط، فهذه العلاقة السببية هي النمط الوحيد للتعبير الشرطي لا يتسبب الماضي عن المستقبل كما قرره كثير من النحاة. يقول ابن هشام:" التحقيق أن من حذف الجواب مثل: ﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ ﴾ العنكبوت: ٥ لأن الجواب مسبب عن الشرط، و أجل الله آت سواء أوجد الرجاء أم لم يوجد " [٢] و في الآية تنزيل القرآن على قلب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تحقق وجدت العداوة منهم أم لم توجد . فانتفت علاقة السببية بين الشرط والجزاء فانتفى أن يكون جوابا من حيث المعنى.

---

[١] أي: في المعنى، يقول ابن مالك: " إن الشرطية و أخواتها مختصة بالمستقبل فلا يكون شرطها و لا جزاؤه بمعنى الماضي و لا بمعنى الحال و ما أوهم ذلك أول على أنه متعلق بفعل مستقبل هو الشرط أو الجزاء في الحقيقة " ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي ، شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠، ٤ \ ٩٢.

و ذهب أبو العباس المبرد إلى أنه يجوز بلا تأويل كون الشرط ماضي المعنى بلفظ كان دون غيرها. قال ابن السراج: (و هذا الذي قاله أبو العباس – رحمه الله – لست أقوله و لا يجوز أن تكون إن تخلو من الفعل المستقبل لأن الجزاء لا يكون إلا بالمستقبل، و هذا الذي قاله عندي نقض لأصول الكلام).

ابن السراج ، أبو بكر محمد بن السري ، الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة ، لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥، ٢ \ ١٩١، و وانظر: أبو حيان ، أثير الدين الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨، : ٢ \ ٥٤٧. و ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن المصري، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد كامل بركات، جامعة أم القرى ، السعودية، ط١ ، ١٩٨٢، ٣ \ ١٨٧. و الخضري، محمد الدمياطي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ٢ \ ١٢٢.

[٢] مغني اللبيب ٢ \ ١٧٥.

الثاني: من حيث الصناعة ؛ لأن جمل الجواب لابد أن يكون فيها ضمير يعود على اسم الشرط. فلا يجوز (من يقم فزيد منطلق) و لا ضمير في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ يعود على (من) [١] فلا يكون جوابا من حيث الصناعة أيضا. قال السمين: " و ينبغي أن يبنى ذلك على خلاف في خبر اسم الشرط فإن قيل إن الخبر هو الجزاء وحده فلا حاجة إلى الضمير " [٢] .

و ما ذهب إليه الشيخ عبد الله فودي من أن قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ لا يصلح أن يكون الجواب هو مذهب أبي حيان الأندلسي أيضا الذي يقول: " ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ ليس هذا هو جواب الشرط كما تقرر في علم العربية أن اسم الشرط لابد أن يكون في الجواب ضمير يعود عليه. فلو قلت: "من يكرمني فزيد قائم"، لم يجز، و قوله (فإنه نزله) ليس فيه ضمير يعود على (من). و قد صرح بأنه جزاء للشرطية الزمخشري و هو خطأ لما ذكرناه من عدم عود الضمير و لمضي فعل التنزيل فلا يصح أن تكون الجملة جزاء و إنما الجزاء محذوف لدلالة ما بعده عليه ". [٣]

هذا، و يرى الزمخشري أن قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ هو الجواب، ثم كأنه شعر بخفاء السببية بين الشرط و الجزاء، فعداوة جبريل عليه السلام (الشرط) ليست سببا في تنزيل القرآن (الجواب) فأطلق سؤالا و أجاب عنه بقوله: " فإن قلت كيف استقام قوله: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ جزاء للشرط قلت: فيه

---

[١] لأن الهاء الأولى تعود على الله أو على جبريل و الثانية تعود على جبريل أو القرآن قولان لا ثالث لهما، انظر الدر المصون: ٢ \ ٢٠

[٢] الدر المصون: ٢ \ ١٨.

[٣] البحر المحيط: ١ \ ٥١٢.

وجهان : أحدهما: إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه، و الثاني: إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابه و موافقا له و هم كارتون للقرآن و لموافقته لكتابهم و لذلك كانوا يحرفونه و يجحدون موافقته له كقولك: إن عاداك فلان فقد آذيته و أسأت إليه) [١]

هذا و يرى الآلوسي أنه يجوز أن يكون قوله جل وعلا:﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ جوابا في الحقيقة خلافا لما

يراه الشيخ عبد الله فودي، يقول الآلوسي: " و قوله: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ وقع جزاء باعتبار الإعلام و

الإخبار بسببيته لما قبله فيؤول المعنى إلى من عاداه فأعلمكم بأن سبب عداوته كذا فهو كقولك: إن عاداك فلان فقد آذيته أي: فأخبر بأن سبب عداوتك أنك آذيته ". [٢]

و مفهوم كلام الآلوسي: أن عداوتهم لجبريل عليه السلام سبب في الإخبار و الإعلام عن سببها و هو أنه نزل بالقرآن على قلب الرسول الكريم و هم لذلك كارهون. فيكون هذا الإخبار سببا عن العداوة و بذلك يظهر ارتباط الشرط بالجزاء من كون الجواب مسببا عنه.

وأرى أن كلام الآلوسي ومن قبله الزمخشري فيه من التكلف ما فيه ، علاوة على أنه لايستقيم صناعة كما بينت، فما اختار الشيخ عبد الله وسبقه إلى ذلك السمين الحلبي وشيخه أبو حيان هو الأولى.

---

[١] الكشاف : ١ \ ١٧٠.

[٢] الألوسي ، شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥، ١ \ ٥٢٤.

ومن أمثلة ما اختاره الشيخ عبد الله فودي من وجوه الأعاريب، وأعرض عن مقابلها لفساده في المعنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٨.

اختلف العلماء في المستثنى في هذه الآية الكريمة، فذهب الجمهور إلى أنه الجملة التي تليها إلا ﴿ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾.

يقول الشيخ عبد الله: " إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم وعذاب الزمهرير ، فإن ذلك خارجها داخل حفرتها ، كما قال : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾ الصافات: ٦٨ ، أو إلا ما شاء قبل الدخول، ورجحه الزجاج، ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس أن الاستثناء في المسلمين الذين يخرجون من النار، فما بمعنى من ، أي....إلا من شاء الله خروجه...". [١]

و ذهب أبو مسلم [٢] الأصفهاني إلى أن الاستثناء ليس راجعا إلى الخلود، بل راجع إلى الأجل المؤجل لهم، فكأنهم قالوا: و بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا أي: سميته لنا إلا من أهلكته واخترمته قبل الأجل المسمى لكفره و ضلاله [٣].

---

[١] ضياء التأويل ٢٩٦/٢.

[٢] محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم من أهل أصفهان ، معتزلي كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم توفي عام ٣٢٢ هـ بغية الوعاة ١ \ ٥٩، الأعلام ٦ \ ٥٠.

[٣] يراجع البحر المحيط: ٤ \ ٦٤٥، والدر: ٥ \ ١٥٠، و التفسير الكبير للرازي ٦ \ ٥٧٦

و قد رد الناس عنه هذا المذهب[١] من وجهين: أحدهما: أنه لو كان الأمر كذلك لكان التركيب إلا ما شئتَ ليطابق قوله: " أجلتَ ". و الثاني: أنه قد فصل بين المستثنى، و المستثنى منه بقوله: ﴿ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ و مثل ذلك لا يجوز [٢]، و مذهبه فاسد المعنى: لأن القول بالأجلين: أجل الاختارم، والأجل المسمى باطل لدلائل مقررة علم الكلام " [٣]

و إذ قد تبين أن المستثنى منه هو قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ كما هو مذهب الجمهور، و الذي توجبه الصناعة النحوية، و يقتضيه المعنى، فإن الاستثناء على هذا إما أن يكون من عموم الأزمنة التي دل عليها قوله " خالدين فيها " فيكون التأويل: إلا وقت مشيئة الله إزالة خلودكم، و إما أن يكون من عموم الخالدين و هم الأشخاص فيكون التأويل: إلا فريقا شاء الله ألا يخلدوا في النار، و على كلا التأويلين فالآية موضع إشكال عند المفسرين و النحويين لما تقرر في الكتاب، و السنة، و

---

[١] انظر مثلا الدر المصون ١٥٠/٥.

[٢] لأن المستثنى والمستثنى منه متلازمان، والفصل بين المتلازمين لا يجوز. قال ابن جني: " كلما ازداد الجزءان اتصالا قوي قبح الفصل بينهما " الخصائص: ٢ \ ٣٩٢ .

كما أن فيما ذهب إليه أبو مسلم تكلفا وتركا لظاهر ترتيب ألفاظ الآية، وإذا أمكن إجراء الآية على ظاهرها فلا حاجة بنا إلى هذا التكلف.

[٣] يرى بعض العلماء أن لكل إنسان أجلين: أحدهما الأجل المسمى وهو الذي لو بقي الإنسان مصونا من العوارض الخارجية لانتهت مدة بقائه إليه، والثاني: الأجل الاخترامي وهو الذي يحصل بسبب غضب الله على العباد لكفرهم وضلالهم فيهلكهم جميعا قبل أجلهم المسمى. وفي هذا الكلام نظر عند أهل السنة، وتمام البحث في هذه المسألة في كتب الكلام، وانظر: البحر المحيط: ٤ \ ٤٣٣، والتفسير الكبير: ٦ \ ٢٢٣، و الخفاجي، شهاب الدين أحمد، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، دار صادر، بيروت ، لبنان، طبعة مصورة ٤ \ ٩، و روح المعاني: ٥ \ ١٢٧.

إجماع الأمة: أن المشركين لا يغفر لهم، و أنهم مخلدون في النار دون استثناء فريق و لا زمان [١] و من هنا حاول العلماء حل هذا الإشكال:

فذهب أهل السنة [٢]: إلى أن الآية شاملة لعصاة الموحدين و الكفار، و المستثنى العصاة ؛ لأنهم لا يخلدون، و " ما " واقعة موقع " من " و المعنى: إلا النوع الذي دخلها من العصاة فإنهم لا يخلدون فيها، و عليه فالمستثنى منه هو كاف الخطاب في قوله (مثواكم) و الاستثناء متصل، فإن اعترض عليه بأن اسعمال ما للعقلاء قليل، أجيب بأن (ما) تقع على أنواع ما يعقل [٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ النساء: ٣ .

و ذهب ابن عطية: إلى أنه خطاب للنبي صلى الله عليه و سلم، و لأمته في الدنيا لا يوم القيامة و المستثنى هو من كان من الكفرة يومئذ يؤمن في علم الله كأنه سبحانه لما أخبرهم: أن الكفار في النار خالدين فيها، استثنى لهم ما يمكن أن يؤمن ممن يرونه يومئذ كافرا و عليه – أيضا – يكون الاستثناء متصلا، و تكون (ما) واقعة على صفة من يعقل – قال: " و يؤيد هذا التأول قوله ﴿ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: بمن يمكن أن يؤمن منهم " [٤].

---

[١] التحرير و التنوير: ١٨ \ ٧٠.

[٢] انظر ابن المنير ، أحمد بن محمد الإسكندري، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، بيروت، دت، بهامش تفسير الكشاف، ٢ \ ٦٥.

[٣] يراجع في وقوع ما على أنواع ما يعقل: ابن مالك، جمال الدين الطائي، شرح الكافية الشافية ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧،: ١ \ ٢٧٦ . و السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، : ١ \ ٢٩٨. و عضيمة، عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن: ٣ \ ٦.

[٤] المحرر الوجيز: ٢ \ ٣٤٥.

و فيما ذهب إليه ابن عطية بعد أيضا ؛ إذ ظاهر قوله تعالى في مطلع الآية الكريمة ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ الأنعام: ١٢٨ أن الخطاب للكافرين من الجن و الإنس يوم القيامة، فكيف يجعله خطابا من الله لرسوله و أنه في الدنيا من غير قرينة قوية مخرجة للحكم عن ظاهره .

و ذهب الزجاج: إلى أن الاستثناء منقطع و المعنى: " إلا ما شاء ربك مما يزيدهم من العذاب " [١]، و لم يبين وجه استقامة الاستثناء و المستثنى منه على هذا التأويل. قال ابن المنير: " و نحن نبينه فنقول: العذاب – و العياذ بالله – على درجات متفاوتة: فكأن المراد أنهم خالدون في جنس العذاب، إلا ما شاء ربك أن تبلغ الغاية، و تنتهي إلى أقصى النهاية حتى تكاد لبلوغها، و مباينتها لأنواع العذاب في الشدة تعد ليس من جنس العذاب و خارجة عنه، و الشيء إذا بلغ الغاية – عندهم – عبروا عنه بالضد فكأن هؤلاء إذا بلغوا إلى غاية العذاب، و نهاية الشدة فقد وصلوا إلى الحد الذي يكاد أن يخرج من اسم العذاب المطلق حتى يسوغ معاملته في التعبير بمعاملة المغاير، و هو وجه حسن لا يكاد يفهم من كلام الزجاج إلا بعد هذه البسط " [٢]

هذا و قد ذهب بعض العلماء إلى وجه لطيف في هذا الاستثناء: و هو أنه محدود بمشيئة الله عز و جل في رفع العذاب عنهم أي: مخلدون إلا أن يشاء الله لو شاء، و فائدته إظهار المقدرة، و الإعلان بأن خلودهم إنما كان لأن الله تعالى قد شاءه، و كان من الجائز العقلي في مشيئته ألا يعذبهم و لو عذبهم لا يخلدهم، و أن ذلك ليس بأمر واجب عليه، و إنما هو مقتضى مشيئته و إرادته عز و جل [٣].

---

[١] معاني القرآن الكريم و إعرابه للزجاج: ٢ \ ٢٩٢.

[٢] الانتصاف: ٢ \ ٦٥.

[٣] السابق، و يراجع: روح المعاني: ٨ \ ٤٠.

قلت: و لعل هذا الرأي هو أوجه الآراء، و أعدلها، و أولاها بالقبول إذ لا تكلف فيه، و لا تأويل، و فيه إرشاد العباد إلى تفويض الأمور كلها إليه – جل شأنه – و إعلامهم بأنها منوطة بمشيئته جل و علا يفعل ما يشاء، و يحكم ما يريد لا حق لأحد عليه و لا يجب عليه شيء كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ هود: ١٠٧، و قريب من ذلك ما ذكره الزمخشري من أن المراد من الاستثناء المبالغة في الخلود بمعنى: أنه لا ينتفي إلا وقت مشيئة الله تعالى و هو ما لا يكون، و إيراده في صورة الخروج و إطماعهم في ذلك تهكما و تشديدا للأمر عليهم [١].

فهذا بسط لما أجمله الشيخ عبد الله فودي من أقوال في هذه الآية الكريمة.

ومن أمثلة المزاوجة بين النحو والمعنى لدى العلامة عبد الله فودي ما ذكره في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ البقرة: ١٨٨

فقد ذهب الشيخ [٢] إلى أن قوله سبحانه " وَتُدْلُواْ " مجزوم عطفا على النهي، أي: و لا تدلوا بها إلى الحكام.

و يؤيده قراءة أبي: " و لا تدلوا" [١] بإظهار لا الناهية. و الظاهر أن الضمير في " بها " عائد على الأموال.

---

[١] الكشاف: ٦٥ و ٦٦.

[٢] ضياء التأويل ١/ ٧١.

فكأنهم نهوا عن أمرين:

أحدهما: أخذ المال بالباطل وثانيهما: صرفه إرشاء لأخذه بالباطل.

و جوز الأخفش أن يكون " و تدلوا " منصوبا بإضمار " أن " في جواب النهي قال: " و لا تدلوا " جزم على على العطف، و نصب إذا جعله جوابا بـ الواو " [٢]

و تابعه في ذلك: و الزمخشري [٣]، و ابن عطية [٤]، و الإمام البيضاوي[٥].

إلا أن أبا حيان الأندلسي رده لفساده من ناحية المعنى، فقال: " وأما إعراب الأخفش، وتجويز الزمخشري ذلك هنا فتلك مسألة: " لا تأكل السمك، و تشرب اللبن ". قال النحويون: إذا نصب كان الكلام نهيا عن الجمع بينهما، و هذا المعنى لا يصح في الآية لوجهين:

أحدهما: أن النهي عن الجمع لا يستلزم النهي عن كل واحد منهما على انفراده، و النهي عن كل واحد منهما يستلزم النهي عن الجمع بينهما ؛ لأن الجمع بينهما حصول كل واحد منهما، و كل واحد منهما منهي عن ضرورة، ألا ترى أن أكل المال بالباطل حرام سواء أفرد أم جمع مع غيره من المحرمات.

الثاني: و هو أقوى، أن قوله: " لتأكلوا " علة لما قبلها ؛ فلو كان النهي عن الجمع لم تصح العلة له ؛ لأنه مركب من شيئين، لا تصح العلة أن تترتب على وجودهما، بل إنما تترتب على وجود أحدهما، و هو الإدلاء بالأموال إلى الحكام" [٦].

---

[١] قراءة أبي بن كعب قراءة شاذة، انظرها في: المحرر الوجيز: (١ \ ٢٦٠)، والبحر المحيط: (٢ \ ٣٠١) روح المعاني: (٢ \ ١٠٦)

[٢] معاني القرآن: ١ \ ١٧٢

[٣] الكشاف: ١ \ ٢٣٣.

[٤] المحرر الوجيز: ١ \ ٢٦٠.

[٥] تفسير البيضاوي: ٢ \ ٤٧٦.

[٦] البحر المحيط: ٢ \ ٢٢٥.

قلت: والذي ذكره أبو حيان هو الحق الذي لا مرية فيه ؛ فإن الواو تنصب الأفعال المستقبلة بعد النهي إذا كانت بمعنى الجمع نحو قولهم: " لا تأكل السمك، و تشرب اللبن " أي: لا تجمع بينهما، و لا يستلزم ذلك النهي عن كل واحد منهما منفردا.

يقول سيبويه: " و مما يدلك – أيضا – على أن الفاء ليست كالواو، قولك: " مررت بزيد و عمرو " و " مررت بزيد فعمرو " تريد أن تعلم بالفاء أن الآخر مر به بعد الأول، و تقول: " لا تأكل السمك و تشرب اللبن " فلو أدخلت الفاء هاهنا فسد المعنى، و إن شئت جزمت على النهي في غير هذا الموضع، و منعك أن تجزم في الأول ؛ لأنه إنما أراد أن يقول له: لا تجمع بين اللبن و السمك، و لا ينهاه أن يأكل السمك على حدة، و يشرب اللبن على حدة، فإذا جزم فكأنه نهاه أن يأكل السمك على كل حال، أو يشرب اللبن على كل حال " [١].

و في تحليل دقيق لما قال: سيبويه يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: " اعلم أن قولك: " لا تأكل السمك و تشرب اللبن " النصب فيه بإضمار " أن "، و الذي أوجب ذلك أنهم لو أدخلوا ما بعد الواو في إعراب ما قبله لاشتمل النهي على كل واحد من الفعلين، و ليس الغرض ذلك، و إنما المقصود النهي عن الجمع بينهما، فلما لم يمكن إدخال " تشرب " في إعراب " تأكل " وجب أن تضمر " أن " و تنزل قولك: لا تأكل السمك " بينهما منزلة لا يكن منك أكل السمك، و ليكون " شرب " الذي هو في تقدير " أن " مصدرا معطوفا على ما قبله نحو: ليكن منك أكل و شرب اللبن، فحصل بهذا الإضمار معنى النهي عن الجمع بينهما، و أن أحدهما مباح له، كما حصل به في قولك: " ما تأتينا فتحدثنا " أنك جعلت الإتيان سبب الحديث، و لم تقصد أن تنفي كل واحد منهما على الإطلاق، و في الظاهر بيان ليس في التقدير الذي هو قولك: لا يكن منك أكل للسمك و شرب للبن ؛ لأجل أنك إذا عدلت بما بعد الواو عن

---

[١] الكتاب: (٣ \ ٤٢) فما بعدها

إعراب ما قبله، فنصبت الثاني، و الأول مجزوم، علم ضرورة أنهما لم يشتركا في الحكم ؛ إذ لو كان الاشتراك مقصودا لجزمته كما كان الأول مجزوما " [١].

و يفهم من خلال هذا النص أمران:

١. أنه إذا نصب الفعل المضارع بعد الواو في جواب النهي كان المقصود النهي عن الجمع بينهما، و أن كلا منهما منفردا مباح له.
٢. أنه لو كان الثاني المنصوب بـ " أن " مضمرة بعد الواو مشتركا مع الأول في النهي لجزمته كما كان الأول مجزوما كما قال الشيخ.

و تلك هي طريقة العرب في التعبير في مثل هذا الأسلوب: " لا تأكل السمك و تشرب اللبن " فإن العرب تنصب الثاني إذا خالف الأول في المعنى، و كان المراد النهي عن الجمع بينهما، فإن وافقه في المعنى وافقه في الإعراب [٢].

و باعتبار ذلك فإن ما ذهب إليه الأخفش و من ذهب مذهبه من جواز أن يكون قوله: " و تدلوا " منصوبا بـ " أن " مضمرة جوابا للنهي، يترتب عليه أن يكون المراد النهي عن الجمع بينهما. أي: لا يكن منكم أكل الأموال و الإدلاء، و أن أحدهما منفردا مباح له – كما قال سيبويه و وضحه الإمام عبد القاهر – إذ لو أراد النهي عن كل منهما، لجزم الثاني كما جزم الأول، كما هي طريقة العرب في مثل هذا الأسلوب، و معلوم أن هذا معنى فاسد في الآية الكريمة ؛ لأن كلا منهما محرم على حدة فوجب أن يكون الثاني مجزوما عطفا على الأول ؛ لأنه منهي عنه مثله.

---

[١] الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد لشرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ط ١، ١٩٨٢، ٢ \ ١٠٧١

[٢] يراجع الأصول لابن السراج: ٢ \ ١٥٤، و شرح التسهيل لابن مالك: ٤ \ ٣٦، و المغني بحاشية الأمير: ٢ \ ٩٩.

و أما قول العلامة الخفاجي: " و تدلوا " على نصبه بإضمار " أن " معناه: لا يكن منكم أكل الأموال و الإدلاء و مثله، و إن كان النهي عن الجمع لا ينافي كون كل منهما منهيا عنه " [١] فيرده أمران:

أحدهما: أن كون كل منهما منهيا عنه على حدة (في حالة النصب) ذلك مفهوم من الشرع لا من اللغة، فإن الشرع حرم أكل أموال الناس بالباطل، كما حرم إدلاءها رشاء إلى الحكام أما اللغة: فإن طريقة العرب في ذلك أنها إذا لم تجزم الثاني كان أحدهما مباحا كما تقدم.

ثانيهما: أنه على فرض أن النهي عن الجمع لا ينافي النهي منفردا، فإن قوله سبحانه:﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ لا يصلح أن يكون علة للنهي عن الجمع ؛ لأنه لا يصح: لا تأكلوا أموالكم لتأكلوا، بل المراد – و الله أعلم – لا تدلوا لتأكلوا فيكون علة للثاني لا للأول و بذلك يفسد الإعراب من كل وجه.

و لعل الذي دعا الأخفش، ومن تبعه إلى هذه الإعراب هو مراعاة القصة التي ذكرت في سبب نزول الآية، و يفهم منها أن الآية جاءت في النهي عن أكل أموال الناس بالباطل في حال انتشار الخصومات، و ذلك بإرشاء الحكام ؛ ليتوصلوا بقضاء الحكام إلى أكل أموال الناس بالباطل حين لا يستطيعون أكلها بالغلب، فقد ذكر الواحدي: " أن هذه الآية نزلت في امرئ القيس بن عباس الكندي و في عبدان بن أشوع الحضرمي، و ذلك أنهما اختصما إلى النبي صلى الله عليه و سلم في أرض، و كان امرؤ القيس المطلوب، و عبدان الطالب، فأنزل الله هذه الآية فحكم عبدان في أرضه، و لم يخاصمه " [٢].

---

[١] حاشيته على البيضاوي: ٢ \ ٤٧٦

[٢] الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول ، تحقيق كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص ٣٥.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور[١] " و لا يخفى أن التقيد بتلك القصة لا وجه له في تفسير الآية ؛ لأنه لو صح سندها لكان حمل الآية على تحريم الرشوة لأجل أكل المال، دليلا على تحريم أكل المال بدون رشوة بدلالة تنقيح المناط [٢]، و على ما اخترنا - و هو كون " تدلوا " معطوفا على " تأكلوا " - فالآية دلت على: تحريم أكل الأموال بالباطل، و على تحريم إرشاء الحكام لأجل أكل الأموال بالباطل.

ومن أمثلة رد الشيخ عبد الله فودي لبعض الأعاريب لدَخَلٍ وفساد في معانيها ما ذكره في أثناء تأويل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ الأنعام: ٩٩.

قال الشيخ عبد الله [٣]:" وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ " عطف على – نبات كل شيء – ، وقرئ بالرفع على الابتداء، أي: ولكم جناتٌ و لا يجوز عطف على قنوان إذ العنب لا يخرج من النخل " [٤].

و والشيخ بهذا الإعراب يخالف جار الله الزمخشري الذي قال: في [٥]:" وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ " فيه وجهان:

أحدهما أن يراد و ثم جنات من أعناب أي مع النخل، و الثاني أن يعطف على قنوان على معنى: و حاصلة أو مخرجة من النخل قنوان – و جنات من أعناب – أي من نبات أعناب " [٦].

---

[١] التحرير الوجيز ١٩١/٢.

[٢] لأنه إذا حرمت الرشوة لكونها سبيلا إلى أكل المال بالباطل، فتحريم أكل المال بالباطل يكون من باب أولى.

[٣] ضياء التأويل ٢٨٨/١

[٤] وافق الشيخ عبد الله فودي الإمام البيضاوي في هذا الرأي ، انظر تفسير البيضاوي المسمى " أنوار التنزيل وأسرار التأويل": ١ / ٢٧١

[٥] ضياء التأويل ٢٨٨/١

[٦] الكشاف: ٢/ ٣٩ - ٤٠

و قد رده الشيخ عبد الله ومن قبله الإمام البيضاوي بما ذكره لأنه يؤول إلى أن يكون المعنى: و من النخيل جنات من أعناب و فيه بعد عن الظاهر، إلا أن يتكلف له ما لا حاجة إليه.

وحاول بعضهم الجواب عن الزمخشري، فها هو شهاب الدين الخفاجي يقول مبينا وجهة نظر الزمخشري: "و قد يجب عنه بأن من أعناب صفة جنات و هي لما كانت معروشة تحت أشجار النخل جاز وصفها بكونها مخرجة من النخيل مجازا لكون هيأتها مدركة من خلالها، كما يدرك القنوان و فيه جمع بين الحقيقة و المجاز، أو بأن المراد أنه من عطف الجملة أي و مخرجة و حاصلة من الخضر أو الكرم جنات من أعناب، ففي قوله عطف على قنوان تجوز لا حاجة إليه على هذا التقدير لجواز أن يعتبر جنات من أعناب عطفا على قنوان و ذلك المحذوف أعني من الخضر أو من الكرم عطفا على النخل، أي من نبات أعناب يعني أنه على حذف المضاف ؛ لأن البستان لا يكون من العنب نفسه بل من النبات و الأشجار "[١].

و قد تخرج المسألة على أن قنوان مبتدأ و من النخل خبره و جنات معطف على قنوان و من أعناب معطوف على النخل و لا حاجة إلى إخراج العنب من النخل،

قال الكازروني: " غاية ما في الباب أن يكون المعطوف على مبتدأ و هو جنات نكرة محضة و لم يعرف امتناعه كما صرح به العلامة التفتازاني " [٢].

و ذهب ابن هشام[٣] إلى أنه مبتدأ و قدر له خبرا فقال: " فيمن رفع " جنات أنه عطف على قنوان، هذا يقتضي أن جنات الأعناب تخرج من طلع النخل، و إنما هو مبتدأ بتقدير: و هناك جنات، أو: ولهم

---

[١] حاشية الشهاب: ٤/ ١٠٤

[٢] الكازروني، أبو الفضل القرشي الخطيب الصديقي، حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي، القاهرة، دت، دط، ٢/ ٢٠٠

[٣] مغني اللبيب ص٦٩٤.

جنات، و نظيره قراءة من قرأ: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١] بالرفع بعد قوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٢] أي و لهم حور، وأما قراءة السبعة " و جنات " بالنصب فبالعطف على " نبات كل شيء " و هو من باب: ﴿ لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ البقرة: ٩٨ .

و هذا يؤيد ما ذهب إليه البيضاوي، ؛ لأنه اعتمد قراءة السبعة ، و لم يعطف على (قنوان) كما فعل الزمخشري.

---

[١] قرأ أبو جعفر و حمزة الكسائي (و حور عين) بخفض الاثنين و الباقون بالرفع. النشر في القراءات العشر: ١٧٨

[٢] اختلطت الآيات على ابن هشام رحمه الله، فالآيتان اللتان ذكرهما هما من سورتين مختلفتين فقوله تعالى ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ إنما هو في سورة الواقعة، وهذه هي تمام الآيات: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ الواقعة: ١٧ – ٢٢. وقوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ إنما هو من سورة الصافات: ٤٥.

الفصل السادس

الحذف والتقدير في تفسير ضياء التأويل

الحذف باب من أبواب الإيجاز، وقد عده أبو الفتح ابن جني من " شجاعة العربية " [١] ، وأعظمه[٢] عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، فقال عنه: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتكون أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن "[٣] ، وما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره.

ويلجأ النحاة إلى تقدير المحذوفات لإعادة صياغة التركيب اللغوي ليخضع لقواعد علم النحو، وليؤدي التركيب المعنى المصوغ لأجله، ولإيجاد عامل لكل أثر إعرابي، سواء كان هذا الأثر حركة إعرابية ما زالت موجودة، أو أثر توجبه صياغة التراكيب والترابط بين المفردات.

لذا فالحذف والتقدير يتجاذبه علمان، علم المعاني؛ إذ به يطابق الكلام مقتضى الحال[٤] وعلم النحو؛ إذ به يستقيم الكلام من حيث الصاغة النحوية.

---

[١] الخصائص ٢/ ١٤٠.

[٢] أي عده عظيما واستعظمه.

[٣] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق أبي فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط ٣، ١٩٩٢. ص١٤٦.

[٤] ذكروا في تعريف علم المعاني أنه: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال .
الأحوال التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال كثيرة منها التأكيد والذكر والحذف والتقديم والتأخير ونحو ذلك، وكلها مباحث تجدها في كتب البلاغة مبسوطة. انظر: الرامفوري ، محمد فضل حق، شموس البراعة شرح دروس البلاغة ، بتحقيقي أنا موتمباي رجب ، ص٩.

فتجد النحاة يذكرون في تآليفهم أبوابا متفرقة في الحذف كحذف المبتدأ والخبر واسم كان وخبرها وغير ذلك وحذف جواب الشرط ، وحذف جواب القسم [١]. وكذلك تجد علماء المعاني أيضا يفردون بابا للحذف والذكر في مصنفاتهم[٢] .ولكن بحث النحاة من بابة مختلفة عن بحث البلاغيين، ولكل وجهة هو موليها.

وفيما يأتي أسوق نماذج تبين منهج الشيخ عبد الله فودي في تناول للحذف والتقدير في تفسيره ضياء التأويل.

في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ المائدة: ٦٩. قال الشيخ عبد الله: "خبر المبتدأ، ودال على على خبر إن، ويجوز ارتفاع الصابئون على الابتداء، والخبر محذوف على ما اختاره سيبويه، أي: كذلك، على حد:

---

[١] يرى ابن السراج أن الحذف يختص بحالة إسقاط العامل وإبقاء أثره الإعرابي، فإذا تغير هذا الحكم الأعرابي أطلق عليه الاتساع. الأصول ٢/ ٢٥٥، ويرى غيره أن إسقاط العامل وإبقاء أثره الإعرابي في اللفظ يطلق عليه الإضمار، بخلاف الحذف فإنه لا يشترط فيه ذلك.

[٢] هناك نوع من أنواع المجاز يسمى مجاز الحذف أو مجاز النقصان وهو - كما عرفه القزويني - الكلمة التي تغير إعرابها بحذف لفظ. انظر: التفتازاني ، مسعود بن عمر، شرح مختصر المعاني على تلخيص المفتاح، ضمن كتاب شروح التلخيص، دط ، دت، ٤/ ٣٣١.

ومثال هذا المجاز قوله تعالى: واسأل القرية، وأصله واسأل أهل القرية على الرأي المشهور، فالمجاز في هذه الآية هو لفظ القرية، فإن الحكم الإعرابي الأصلي له هو الجر، وقد تغير إلى النصب بسبب حذف المضاف، فقد تجاوزت الكلمة حكمها الأصلي إلى حكم آخر، فكما يطلق لفظ المجاز على الكلمة إذا نقلت عن معناها الأصلي يطلق عليها إذا نقلت عن إعرابها الأصلي. وبهذا يعرف أن مجاز الحذف ليس من المجاز المشهور بأنه الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة مانعة.

راجع: الطهطاوي، أحمد رافع، كمال العناية بتوجيه ما في ليس كمثله شيء من الكناية، دت ، دط، ص ٤٢.

وإني وقيارٌ بها لغريب

قيار اسم جمل. أو المذكور خبره، ويقدر لـ إن خبر على ما اختار سيبويه في نحو زيد وعمرو قائم" [١].

انتهى كلام الشيخ، ولكنه ملغز ويحتاج إلى بيان، فأقول لتبيينه:

جاء في هذه الآية إن المشبهة بالفعل ثم اسمها ثم جاء كلمة ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ مرفوعة قبل تمام خبر إن، فاحتاج الكلام إلى أمرين:

١- خبر إن

٢- خبر المبتدأ ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾

وقد ذكر النحاة والمفسرون في توضيح ذلك الإشكال عدة وجوه ، وذكروا نظائرها المعروفة في لغة العرب ، ونكتفي هنا بثلاثة منها ، هي من أشهر ما قيل في ذلك:

الأول : أن الآية فيها تقديم وتأخير ، وعلى ذلك يكون سياق المعنى : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ، من آمن بالله ...فلا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون ، والصابئون كذلك.

فيكون المحذوف في هذه الآية حينئذ هو خبر المبتدأ ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ وهذا الخبر هو شبه الجملة من الجار والمجرور.

ونظير ذلك من لغة العرب قول الشاعر:

فمن يكُ أمسى بالمدينةِ رحلُه فإني وَقَيَّارٌ بها لغريب[٢]

---

[١] ضياء التأويل ١٩٨/١.

[٢] قال التفتازاني في مختصر المعاني ٤/٢: " لفظ البيت خبر ومعناه التحسر والتوجع فالمسند إلى قيار محذوف لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التوجع ومحافظة الوزن. ولا يجوز ان يكون قيار عطفا على محل اسم ان وغريب خبرا عنهما لامتناع العطف على محل اسم ان قبل مضى الخبر لفظا أو تقديرا واما إذا قدرنا له خبرا محذوفا فيجوز ان يكون هو عطفا على محل اسم ان لان الخبر مقدم تقديرا فلا يكون مثل ان زيدا وعمرو ذاهبان بل مثل ان زيدا وعمرو لذاهب وهو جائز ويجوز ان يكون مبتدأ والمحذوف خبره والجملة باسرها عطف على جملة ان مع اسمها وخبرها" .

الثاني : أن " الصابئون " مبتدأ ، والنصارى معطوف عليه ، وجملة من آمن بالله ... خبر "الصابئون" ، وأما خبر "إن" فهو محذوف دل عليه خبر المبتدأ "الصابئون" ، ونظير ذلك من لغة العرب قول الشاعر

نحن بما عندنا ، وأنت بما عندك راضٍ ، والأمر مختلف

والشاهد فيه أن المبتدأ "نحن" لم يذكر خبره ، اكتفاء بخبر المعطوف "أنت" ؛ فخبره "راض" يدل على خبر المبتدأ الأول ، وتقدير الكلام : نحن بما عندنا راضون ، وأنت بما عندك راض.

الثالث : أن " الصابئون " معطوف على محل اسم " إن " ؛ فالحروف الناسخة ، إن وأخواتها ، تدخل على الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، واسم إن محله الأصلي ، قبل دخول إن عليه الرفع لأنه مبتدأ ، ومن هنا رفعت "الصابئون" باعتبار أنها معطوفة على محل اسم إن. [١]

وتلمس ابن عاشور الفائدة البلاغية من الإتيان بلفظ " الصابئون " موفوعاً ، فقال: " إن الرفع في هذا السياق غريب ، فيستوقف القارئ عنده : لماذا رفع هذا الاسم بالذات ، مع أن المألوف في مثل هذا أن ينصب ؟

فيقال : إن هذه الغرابة في رفع الصابئون تناسب غرابة دخول الصابئين في الوعد بالمغفرة ، لأنهم يعبدون الكواكب ، فهم أبعد عن الهدى من اليهود والنصارى ، حتى إنهم يكادون ييأسون من الوعد بالمغفرة والنجاة فنبه بذلك على أن عفو الله عظيم . يشمل كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً وإن كان من الصابئين". [٢]

ومن أمثلة مباحث الحذف عند الشيخ عبد الله فودي ما ذكره في أثناء تفسير قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ ﴾ النساء: ١٧٠ . فقد قال في إعراب

---

[١] انظر تفصيل الأقوال في وجوه تخريج هذه الآية في: أوضح المسالك ، لابن هشام ، ٣٥٢/١-٣٦٦ ، وفي تفسير الدر المصون ٣٥٣/٤ وما بعدها .

[٢] التحرير والتنوير ٢٧١/٦ .

كلمة ﴿ خَيۡرًا ﴾ في الآية: " فآمنوا به إيمانا خيرا لكم...أو اقصدوا خيرا لكم، أو يكن خيرا لكم عند الكوفيين، وأنكر البصريون حذف كان مع اسمه إلا فيما لا بد منه". [١]

فهذه ثلاثة وجوه ذكرها الشيخ في إعراب كلمة خيرا فعلى الوجه الأولى يكون مفعولا مطلقا ، وعلى الثاني يكون مفعولا به ، وعلى الثالث يكون خبرا ليكن.

وقد أخالف الشيخ في منع جواز حذف كان مع اسمها لدى أهل البصرة، فقد جوز العلماء حذف كان مع اسمها مع أدوات مخصوصة مثل: لو وإن، وقد ورد الحديث النبوي الشريف: " التمس ولو خاتما من حديد" على هذا الباب.

---

[١] ضياء التأويل ٢٢١/١. .

الخاتمة:

بعد هذا التطواف والتجوال مع الشيخ عبد الله بن محمد فودي رحمه الله في روضته الغناء، وحديقته الفيحاء " ضياء التأويل من معاني التنزيل " آن للقلم أن يقطع مدد مداده.

وقد خلصت في هذه الدراسة إلى نتائج منها:

أولا: نشأ وعاش الشيخ عبد الله في وسط جو وبيئة يكتنفها أهل العلم والفضل والتقوى، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في حياته

ثانيا: أسهم الشيخ بسهم وافر في المكتبة الإسلامية والعربية من خلال مؤلفاته المتنوعة

ثالثا: الشيخ عبد الله شاعر وشعره مما يقال فيه إنه شعر الفقهاء، كما أنه كان فارسا مغوارا ومقاتلا شجاعا في صفوف جيش أخيه عثمان.

رابعا: ألف الشيخ بعد أن اكتمل في العلم واكتهل تفسير ضياء التأويل ليفيد إخوانه الذين كانوا يحتاجون تفسيرا يوضح لهم كتاب ربهم.

خامسا: تنوعت موارد الشيخ ومصادره في ضياء التأويل، فجمع كتبا شتى من فنون شتى ، زاوج بينها مزاوجة الخبير الماهر، مستفيدا من دررها ولآليها، ومن أشهر مصادره وموارده أحكام القرآن لابن العربي، وتفسير البيضاوي، ولم يك ناقلا مقلدا فحسب ، بل كان يُعمل آلته النقدية فيما يحتاج إلى نقد.

سادسا: علم أصول النحو ما هو عندي إلا تطبيق لقواعد علم أصول الفقه على نصوص لغوية ونحوية، ففي أصول الفقه مندوحة عن أصول النحو.

سابعا: كان الشيخ يهتم بالقراءات وخاصة قراءة الإمام نافع، وهي قراءة أهل بلده، فكان يشير إلى توجيه ما انفردت بها تلك القراءة من حيث النحو واللغة.

ثامنا : للشعر وشواهده حضور في تفسير ضياء التأويل، وقد جاءت هذه الشواهد في تفسير ضياء التأويل إما لبيان لفظ غريب، أو تمييز بين معنى ومعنى آخر، وإما لتوضيح أسلوب من أساليب العربية.

تاسعا: الشيخ صرفي بارع، وإتقانه للصرف لا يقل عن إتقانه للنحو وسائر العلوم العربية، وقد كثر تطبيق القواعد الصرفية في تفسيره.

عاشرا: وظف الشيخ معارفه النحوية واللغوية لنصرة مذهب أهل السنة في مقابل مذاهب أخرى غير صحيحة.

حادي عشر: إن الشيخ عبد الله فودي قد وضع قاعدة – وإن لم يصرح بها - سار عليها في تفسيره فلم يبتعد عنها ألا وهي: الموازنة بين الصناعة النحوية و المعنى، بمعنى أنه كان يحرص كل الحرص على أن يؤكد أن الإعراب مرتبط بصحة المعنى أو فساده.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تعليق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية ، القاهرة.
- ابن العربي المعافري ، أحكام القرآن، تحقيق علي البجاوي، دار الطليعة الثقافية ، بيروت، لبنان، ط، عام ٢٠٠٣
- ابن عصفور ، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، تحقيق أحمد عبد الستار الجوادي ، وعبد الله الجبوري، مكتبة العاني ، بغداد، ط١ ، ١٩٧٧.
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن المصري، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد كامل بركات، جامعة أم القرى ، السعودية، ط١ ، ١٩٨٢
- ابن مالك، جمال الدين الطائي، شرح الكافية الشافية ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧.
- ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي ، شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، ط٥، ٢٠٠٠
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥
- ابن الوزير ، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢
- أبو إسحاق الزجاج معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى٤٠٨ ــ٤٣/،٩٨٨ .
- أبو حيان ، أثير الدين الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨
- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ت٧٤٥هـ، تحق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ

- أبو عبد الله الطالب البرتلي الولاتي(ت١٢٢٩) ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد بن إبراهيم الكتاني ود. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٨.
- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار عالم الكتب - بيروت
- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف.
- أحمد رافع، كمال العناية بتوجيه ما في ليس كمثله شيء من الكناية، دت ، دط.
- أحمد بن فارس القزويني الرازي، مقاييس اللغة، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م
- أحمد محمد الخراط، معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى ،١٤٠٩ -١٩٨٩

- الأخفش الأوسط (ت ٢٥) ، معاني القرآن، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط،٤ -١٩٩٠

- الأسدآبادي ، عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٨٨
- الألوري آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت منشورات دار الحياة
- الألوسي ، شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا ، دار البغا، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤.
- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ١، ١٤١٨
- الترمذي ، محمد بن سورة ، جامع الترمذي، تحقيق مصطفى البغا ، دار البغا، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤
- التفتازاني ، الإمام سعد الدين (ت ٧٩١ هـ) شرح تصريف العزي، عني به محمد جاسم المحمد، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠١١م
- التفتازاني ، مسعود بن عمر، شرح مختصر المعاني على تلخيص المفتاح، ضمن كتاب شروح التلخيص، دط ، دت.

- ثروب ستودارد حاضر العالم الإسلامي نقله إلى العربية: عجاج نويهض، تعليق وتوضيح: شكيب أرسلان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٧٣
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق أبي فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط ٣، ١٩٩٢.
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، 2004
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، دار البيروتي، تحقيق علاء الدين عطيبة.
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
- الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله، الإرشاد إلى قواطع الأدلة ، تحقيق أسعد تميم ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦
- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه وترتيب ديوله، محمد شرف الدين بالتقايا، ورِفْعت بليكة الكليسي، أعادت طبعه بالأوفست منشورات مكتبة المثنى، بيروت.
- حسن العطار، حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، بدون طبعة، بدون تاريخ.
- الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داودي، دار القلم ـ دمشق
- الخضري، محمد الدمياطي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة عيسى البابي الحلبي.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، دار صادر، بيروت ، لبنان، طبعة مصورة.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧
- داعي الفلاح لمخبآت الاقتراح، وقد نشره الدكتور الأردني جميل عويضة
- الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية على مختصر المعاني للتفتازاني، مطبوع ضمن شروح التلخيص.
- الرامفوري ، محمد فضل حق، شموس البراعة شرح دروس البلاغة ، بتحقيقي أنا موتمباي رجب.
- السمين الحلبي، الدر المصون، تحقيق أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠
- سيبويه، عمرو بن عثمان البصري، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٨٨
- شرح رضي الدين الأستراياذي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر ، طرابلس، لبيبا، دت
- شلبي أحمد مصطفى، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، ط ١.
- شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨) ، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، دت
- الشنتمري، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان الأندلسي المعروف بالأعلم، شرح شواهد كتاب سيبويه المسمى تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- شيخ الإسلام، زكريا الأنصاري الشافعي، غاية الوصول شرح لب الأصول، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٥٣.
- الشيخ محمد الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، عام ٢٠٠٠، ط ٧
- الصبان ، محمد بن علي ،حاشية الصبان على الأشموني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٧
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، ط1405 .2 ، دار الفكر. بيروت.
- الطوسي ، نصير الدين محمد بن محمد ، تلخيص المحصل، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٩٨٨
- الطيب البكوش ، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، مطبعة جمهورية تونس، المطبعة العربية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢.

- عبد الحق بن عبد المنان الجاوي ، تدريج الأداني إلى قراءة شرح السعد على تصريف الزنجاني. مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة.
- عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية.
- عبد القادر المهاجر السنندجي، تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، ، دار البصائر، مصر، ٢٠٠٦
- عبد القاهر، المقتصد لشرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ط ١.
- عثمان بن الحاجب المالكي ، الشافية في علم التصريف والخط، تحقيق حسن أحمد عثمان، المكتبة المكية، مكة، ١٩٩٥م
- عثمان بن الحاجب المالكي الكافية في علم النحو ، المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة الأولى، ٢٠٠٠
- عضيمة، عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن.
- علاء الدين علي بن محمد القوشجي، عنقود الزواهر، تحقيق أحمد عفيفي، دار الوثائق والكتب القومية، مصر، ط، ٢٠٠٠.
- علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار غريب، القاهرة.
- غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط١ ، ٢٠٠٦
- غربال محمد شفيق، المشرف على الموسوعة العربية الميسرة دار الشعب، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، سنة ١٩٥٩م. نسخة مصورة عن طبعة ١٩٦٥م. سنة ١٩٧٢م.
- غلادنت شيخو أحمد سعيد حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٨٢م، توزيع المكتبة الإفريقية
- فخر الدين الرازي ، التفسيرالكبير ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د ط، دت
- فودي ، عبد الله بن محمد ، إيداع النسوخ فيمن أخذت عنه من الشيوخ، تحقيق أحمد محمد البدوي، جامعة قاريونس ، ليبيا ، ط ٢، ١٩٩١.
- فودي ، عبد الله بن محمد، كفاية أهل الإيمان في تفسير القرآن، بيروت، توزيع المكتبة الحديثة. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس في شرح جواهر القاموس ، تحقيق لجنة من الأساتذة، الكويت

- فودي، عبد الله بن محمد ، ضياء التأويل في معاني التنزيل ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط١ ، ١٩٦١.
- القرطبي (ت ٦٧)، تفسير الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية
- الكازروني، أبو الفضل القرشي الخطيب الصديقي، حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي، القاهرة، دت، دط.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ،
- الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (وهي مجلة محكمة) ، رقم العدد ٥، بتاريخ ديسمبر سنة١٩٩٦ ميلادية
- محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣) ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤.
- محمد المختار ولد أباه ، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ط،١٤٢٢ – ٢٠٠٢.
- محمد بن يزيد، أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥) ، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت.
- محمد بن يزيد، أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥) ، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت.
- محمد رضا المظفر، المنطق، مؤسسة النشر الإسلامية، إيران
- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النحوي، دار البصائر، مصر، ط٢، ٢٠٠٣ .
- مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، مشكل إعراب القرآن، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية.
- المنير ، أحمد بن محمد الإسكندري، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، بيروت، دت، بهامش تفسير الكشاف
- الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف شفيق غربال
- النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢١

- الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول ، تحقيق كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩١.

- يحيى بن زياد الفراء، أبو زكريا ، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ، ومحمد علي النجار ، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، القاهرة، بدون تاريخ ، وبدون طبعة.